

بعض الآراء التربوية عند الشيخ زكريا الأنصاري من خلال رسالته "المؤلول النظيم في روم التعلم والتعليم"

د. أحمد أحمد علي الأنسي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد: فإنه بالرغم من تنامي الأبحاث العلمية في تاريخ التربية الإسلامية بما في ذلك تلك التي تبحث في فكر أعلام التربية الإسلامية لإظهاره ولخدمة الميراث التربوي، وللإستفادة من الآراء والأفكار التربوية في معالجة مشكلات التربية المعاصرة. رغم ذلك فإن البحث في مجال التربية الإسلامية ما يزال قليلاً، ويظل في حاجة إلى المزيد من الاهتمام به والبحث فيه، من قبل الباحثين المتخصصين الذين يغوصون في أعماق الفكر الإسلامي، ليستنبطوا منه الآراء القيمة والتوجيهات التربوية النافعة التي يستفاد منها في العصر الحاضر.

ولأنه ليس كل باحث في التربية يصلح أن يكون باحثاً في مجال التربية الإسلامية ولأهمية هذا المجال تحديداً، فإن ذلك يقتضي إعداد باحثين تربويين إسلاميين يجمعون بين التخصص في مجال التربية، وبين المعرفة في مجال الشريعة الإسلامية، أو على الأقل في الظروف الحالية يكونون ذوي ثقافة إسلامية وتربوية جيدة تمكنهم من البحث في هذا المجال، ويتحمل عبئ إعداد مثل هذه الكوادر أولئك الرواد الذين بدأوا المشوار وكان لهم فضل سبق في البحث والكتابة وإبراز قيمة وأهمية الميراث الإسلامي في جانبه التربوي، وهم الآن الأقدر على إعداد الباحثين الأكفاء، وقد فعلوا ذلك وتبقى الحاجة

ماسمة إلى رؤاهم وأفكارهم القيمة للسير في هذا الطريق والوصول به إلى غايته المأمولة.

وفي الجانب الآخر يأتي إسهام الجامعات العربية والإسلامية عموماً وكلليات التربية خصوصاً في الإهتمام بهذا الميدان الفكري الواسع بإنشاء أقسام للتربية الإسلامية، بل كليات للتربية الإسلامية، وتشجيع الطلبة القادرين المتمكنين للالتحاق بها ليوصلوا المسيرة الخيرة، وإذا لم تنتهياً الظروف في الوقت الراهن، فلا أقل من أن يساهم أعضاء هيئة التدريس بأقسام أصول التربية في إدراج مقررات للتربية الإسلامية مبادئها، ومؤسساتها، وتطور الفكر التربوي الإسلامي، وأعلام الفكر التربوي الإسلامي، وغير ذلك من المقررات ضمن مقررات تلك الأقسام، وضمن المتطلبات الاختيارية التي تدرس في مختلف التخصصات في كليات التربية.

ومساهمة من الباحث في إبراز الفكر التربوي الإسلامي وإخراجه إلى حيز الوجود، جاء هذا البحث في فكر علم من الأعلام المسلمين، وفقهه من فقهاء هو الشيخ زكريا الأنصاري من خلال رسالته التربوية الموسومة (بـ اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم).

ويعد الشيخ زكريا من علماء الإسلام البارزين، وما قدمه الباحث في هذا البحث إنما يأتي مساهمة في إبراز الفكر التربوي للعلماء والمفكرين المسلمين عبر التاريخ، للاستفادة من هذا الفكر في معالجة بعض الجوانب التربوية والتعليمية في الواقع المعاصر، علاوة على ما تمثله هذه الأبحاث من خدمة للتراث واعتزاز به، وإخراجه إلى حيز الواقع ليكون في متناول الباحثين والمهتمين، ويرجو الباحث أن تمثل دراسته هذه إضافة علمية إلى المكتبة التربوية الإسلامية، وهو في هذا العمل لا يدعي أنه بلغ فيه الكمال، وحسبه أنه قد بذل جهده فما وفق فيه فبتوفيق الله تعالى وبفضله، وما وقع فيه من أخطاء فمن نفسه ومن الشيطان، أملاً للاستفادة من تلك الأخطاء، داعياً الله جل جلاله الثبات على الدين، طالباً منه العون والهداية والرشاد إنه على ما يشاء قدير.

أهمية البحث:

نظرا للحاجة الماسة إلى مزيد من الأبحاث في تاريخ التربية الإسلامية، فكريا وممارسة بغية تحديد الصورة المشرقة التي كانت عليها في العصور الإسلامية المختلفة، ومعرفة التطورات التي حدثت لها، وتسلط الأضواء على الأعلام الذين كانت لهم مساهمات تربوية فعالة في عصورهم التي عاشوا فيها، للاستفادة من آرائهم في معالجة قضايا تربوية معاصرة .

من ذلك كله جاء هذا البحث في فكر علم من أعلام الإسلام وفقهه من فقهاءه هو الشيخ زكريا الانصاري، وتكمن أهمية هذا البحث إضافة إلى ما سبق ذكره فيما يلي:

١- مكانة الشيخ زكريا الانصاري، الذي يعد من أبرز علماء عصره، وتتلذذ على يديه كثير من العلماء وألف وشرح الكثير من المؤلفات في علوم مختلفة، وأثنى عليه كثير من المؤرخين عند ترجمتهم له.

٢- الفائدة العلمية التي يعطيها الموضوع للوضع التعليمي في عصرنا، ومعرفة أنواع العلوم التي كانت تدرس في عصر الشيخ الأنصاري، لمعرفة دعوة الإسلام الواضحة إلى دراسة مختلف أنواع العلوم، ومعرفة تطور الأفكار التربوية في مختلف العصور الإسلامية.

أسئلة البحث:

يهدف البحث إلى الإجابة على التساؤلات التالية:

- ١- ما شروط (أو مبادئ) تعليم العلوم وتعلمها عند الأنصاري؟
- ٢- ما آفات الإشتغال بالعلم عند الأنصاري؟
- ٣- ما أنواع العلوم التي أشار إليها الأنصاري؟

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على الآراء التربوية للشيخ الأنصاري من خلال رسالته (اللولؤ النظيم) كما يقتصر هذا البحث فيما يتعلق بالعصر الذي عاش فيه الشيخ الأنصاري على الفترة الثانية من حكم المماليك في مصر .

- منهج البحث:

١- اتبع الباحث المنهج التاريخي التحليلي في إبراز الأفكار، أو الآراء التربوية التي وردت في الرسالة.
الدراسات السابقة:

في حدود علم الباحث لم تكتب دراسة عن آراء الشيخ زكريا الأنصاري التربوية وما تم بالنسبة للرسالة لم يكن سوى التحقيق فقط، ومن قبل باحثين هما:

- هشام نشابه: الذي قام بتحقيق رسالة الشيخ زكريا في كتاب ضمن أربع رسائل أخرى، معتمداً في التحقيق على نسختين مختلفتين، وجاء بمقدمة قبل التحقيق تضمنت نبذة عن حياة الشيخ الأنصاري وطلبه للعلم.

- سامي العاسي: قام بتحقيق الرسالة في مجلة رسالة الخليج العربي الذي يصدرها مكتب التربية العربي لدول الخليج، العدد الرابع عام ١٩٨١م. ولم يزد على التحقيق سوى ترجمة للشيخ زكريا، مع ذكر بعض شيوخه ومؤلفاته وشروحه المطبوعة.

- هناك دراسة تم الاعتماد عليها أو الاستعانة بها عند الحديث عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية، في عصر الشيخ زكريا الأنصاري هذه الدراسة هي رسالة الماجستير المنشورة للباحث علي سالم النباهين، بعنوان: "نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر"

تلك هي الدراسات التي استطاع الباحث الوقوف عليها بعد بحث عنها في الدوريات ومستخلصات الرسائل العلمية.

هيكلية البحث:

قسم الباحث بحثه إلى مقدمة وفصلين وخاتمة على النحو التالي:
أهمية البحث، وأهداف البحث، وحدود البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وبيان مختصر لهيكليّة البحث كما يلي:

- الفصل الأول: (حياة الشيخ زكريا الأنصاري وعصره) واشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: نشأته وسيرته العلمية.

المبحث الثاني: نبذة عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية
والثقافية في عصر الشيخ الأنصاري.
المبحث الثالث: التربية والتعليم في عصر الشيخ الأنصاري.

-الفصل الثاني: آراء الشيخ زكريا الأنصاري التربوية من خلال رسالته.
المبحث الأول: شروط (أومبادئ) تعلم العلوم وتعليمها عند
الأنصاري.

المبحث الثاني: آفات الاشتغال بالعلم.

المبحث الثالث: حصر أنواع العلوم.

الخاتمة، وتصمنت جملة من النتائج والتوصيات. إضافة إلى هوامش البحث
وقائمة بالمصادر والمراجع.

الفصل الأول: حياة الشيخ زكريا وعصره

المبحث الأول: نشأته وسيرته العلمية.

أولاً: نشأته.

ولد الشيخ زكريا محمد بن أحمد بن زين الدين الأنصاري السنيكي القاهري الأزهري الشافعي، القاضي سنة ٨٢٦هـ على أرجح الأقوال، بسنيكة من الشرقية بمصر. نشأ بسنيكة قريته التي بها ولد، حفظ القرآن وبعض مختصر التبريزي في الفقه، ثم ارتحل إلى القاهرة، ونترك الشيخ يتحدث عن هذه الفترة حيث يقول: "جئت من البلاد وأنا شاب فلم أعكف على الاشتغال بشيء من أمور الدنيا، ولم أعلق قلبي بأحد من الخلق، وكنت أجوع في الجامع كثيراً فأخرج في الليل إلى قشر البطيخ الذي كان بجانب الميضاة وغيرها فأغسله وأكله"، واستمر على هذه الحال إلى أن قبض الله له رجلاً يتفقد أحواله، ويشتري له ما يحتاج إليه من الأكل والشرب والكسوة والكتب.^١

وهذه الرواية - التي أورد الباحث بعضاً منها - أوردها كثير ممن ترجم للشيخ، وتابعهم من كتب عن الشيخ في العصر الحاضر، يجد الباحث فيها شيئاً من المبالغة سيما إذا قرئت الرواية إلى آخرها، غير أن الباحث اختصرها خشية الإطالة أولاً، ثم لأن ما ذكر فيه الكفاية، غير أن هذه الرواية رغم ذلك تدلنا على الهمم العالية التي كان يتمتع بها العلماء وطلاب العلم في ذلك العصر وما سبقه من عصور، هذه الهمم محل أسوة وتصلح للإقتداء بها من قبل طلاب العلم ومن العلماء، فطلب العلم وتحصيله لا يتأتى دون صعوبات ودون مشكلات وعقبات، فيحتاج طالب العلم إلى أن يروض نفسه لتحمل مثل هذه الصعوبات والمشكلات، واجتياز تلك العقبات التي تعترضه في طريق التعلم والتعليم لينال ما يريده وليحقق ما يتمناه.

^١ - انظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي، ج ٣ ص ٣٣٤ دار مكتبة الحياة: بيروت دون تاريخ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج ٨ ص ١٣٤، المكتتب التجاري: بيروت دون تاريخ، والكوكب السائرة للغزي، ج ١ ص ١٩٦ ط ٢ دار الأفاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٩م، والاعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الاسلام تقييد وترتيب: أحمد عبيد/مراجعة وتصحيح عبد العزيز السيرولن ص ٥ ط ٢، عالم الكتب: بيروت، ١٩٨٤م.

ثانياً: سيرته العلمية.

أ- همته في طلب العلم

أما عن همة الشيخ في طلب العلم فيذكر عنه أنه "لم ينفك عن الاشتغال بالعلم مع تمتعه بالتواضع وحسن العشرة والأدب والعفة والانجماع عن أبناء الدنيا مع النقل وشرف النفس، ومزيد العقل وسعة الباطن، والاحتمال والمدارة، وكان قد حفظ القرآن وعمدة الأحكام وبعض مختصر التبريزي في بلده - كما سبقت الإشارة قبل ذلك - ثم أكمل حفظ القرآن في القاهرة، وحفظ المنهاج الفرعي والألفية النحوية والشاطبية والرائية وبعض المنهاج الأصلي، ونحو النصف من ألفية الحديث، ومن التسهيل، ثم بعد ذلك اشتغل بسائر العلوم المتداولة، وبرع في العلوم الشرعية والآتها، وقد أذن له شيوخه في الافتاء والإقراء، وتصدى للتدريس في حياة غير واحد من شيوخه، وانتفع به الفضلاء طبقة بعد طبقة"^١

تلك هي السمات التي يجب على طالب العلم أن يتصف بها، ليتمكن من الحصول على العلم وليحظى بشرف حمله وشرف نشره وتبليغه، وليتشرف بانتسابه إلى سلك العلماء العاملين المخلصين.

ب- سلوكه الإيماني والخلقي والعلمي

وعن تربيته لنفسه وعلاقته بربه وبأبناء مجتمعه فيذكر أنه "كان له تهجد وتوحد وصبر واحتمال وترك القيل والقال، وأوراد واعتقاد وتواضع وعدم تنازع، بل عمله في التودد يزيد عن الحد، ورويته أحسن من بديهته، وكتابته أمتن من عبارته، وعدم مسارعتة إلى الفتاوى مما يعد في حسناته"^٢

وعلاقة الشيخ زكريا بالله تعالى هي تلك العلاقة التي تقوم على فهم واضح للوجود، والغاية من خلقه، ومن خلق الانسان، والمصير الذي ينتظره، وهذا التصور

^١ -نظر ترجمته في: الضوء اللامع للسخاوي، ج٣ ص ٣٣٤ دار مكتبة الحياة: بيروت دون تاريخ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، ج٨ ص ١٣٤، المكتتب التجاري: بيروت دون تاريخ، والكواكب السائرة للغزي، ج١ ص ١٩٦ ط٢ دار الافاق الجديدة: بيروت، ١٩٧٩م، والاعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الاسلام تقييد وترتيب: أحمد عبيد/مراجعة وتصحيح عبد العزيز السيروان ص ٥٢ ط٢، عالم الكتب: بيروت، ١٩٨٤م.

^٢ -الضوء اللامع مصدر سابق، ج٣ ص ٣٣٧.

الواضح للخالق عز وجل، وللإنسان نفسه، وللكون والحياة، والحياة الآخرة، كان واضحاً فكراً وسلوكاً لدى علماء السلف، وعلاقتهم بالله تعالى هي تلك العلاقة التي كانوا يحرصون على أن يحققها طالب العلم في نفسه وحياته قبل أن يقدم على طلب العلم، وهي الأساس المتين الذي ينبنى عليه مابعد.

ج- شيوخه.

مما لا شك فيه أن الشيخ زكريا طلب العلم لدى كثير من العلماء، وهذه في الحقيقة سمة من سمات العصور التي خلت فيما يتعلق بطلب العلم والإكثار من الشيوخ، وفي هذا تنوع لمصادر التلقي ومزيد من الفوائد التي يستفيد منها طالب العلم في حال طلب العلم على عدد من الشيوخ.

ولما كان شيوخه كثر لا يتسع المقام لذكرهم جميعاً، يكتفي الباحث بذكر أشهرهم: برهان الدين إبراهيم بن صدقة المقدسي الصالح (ت/٨٥٢هـ)، وشهاب الدين أحمد بن رجب الشهير بابن المجددي الشافعي (ت/٨٥٠هـ)، والحافظ بن حجر العسقلاني (ت/٨٥٢هـ)، وتقي الدين أحمد بن محمد السمني الحنفي (ت/٨٧٢هـ)، وزين الدين العقبى الشافعي (ت/٨٥٢هـ)، وعلم الدين البلقيني الشافعي قاضي القضاة (ت/٨٦٨هـ)، وزين الدين النويري المالكي (ت/٨٥٦هـ)، وزين الدين عبد الرحمن التميمي الخليلي الشافعي (ت/٨٧٦هـ)، وزين الدين عبد الرحمن الزركشي الحنبلي المسند (ت/٨٤٥هـ)، ومحيي الدين محمد بن سليمان الحنفي المعروف بالكافيجي (ت/٨٧٩هـ)، وكمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفي (ت/٨٦١هـ)، وشمس الدين محمد بن علي القايي الشافعي قاضي القضاة (ت/٨٥٠هـ) ^١.

ويلاحظ من استعراض أشهر العلماء الذين تلقى الشيخ زكريا عليهم العلم أنهم ليسوا على مذهب واحد، وهذا يدل على أنه لم يكن متعصباً لمذهبه، بل كان حريصاً على الفائدة العلمية وعلى الجمع بين علوم أولئك العلماء على اختلاف مذاهبهم، كما يشير هذا التنوع

^١ - الأعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٧.

إلى أن تعدد المذاهب لم يكن حائلاً يحول بين المتعلم وطلب العلم عن العلماء مهما اختلفت مذاهبهم، ويشير كذلك إلى أن العلماء الكبار وطلاب العلم النابهين ما كانوا يتعصبون لمذهب أو لفكرة معينة أو لرأي عالم من علماء المذهب، بل كان طلب الحق هدفهم، والوصول إليه غايتهم، وهذه السمة ليست خاصة بعصر معين أو زمان معين، أو مذهب معين، وإنما هي سمة من سمات العلماء العاملين وطلاب العلم المجتهدين في كل العصور.

د - مؤلفاته العلمية:

ترك الشيخ زكريا الكثير من الكتب والرسائل تصنيفاً أو شرحاً، ومن كتبه ورسائله المطبوعة مايلي:

- ١- أحكام الدلالة على تحرير الرسالة، في شرح الرسالة القشيرية.
- ٢- أسنى المطالب شرح روض الطالب، فقه شافعي.
- ٣- الأضواء البهجة في إبراز دقائق المنفرجة، فوائد.
- ٤- تحرير تنقيح اللباب، فقه.
- ٥- الأدب في تبليغ الأرب، مختصر كتاب الأداب للبيهقي.
- ٦- تحفة الباري على صحيح البخاري، طبع مع إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.
- ٧- تحفة الطلاب بشرح تنقيح اللباب، فقه شافعي.
- ٨- تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والقصر.
- ٩- تعريف الألفاظ الاصطلاحية في العلوم.
- ١٠- حاشية على التلويح، أصول فقه.
- ١١- الدقائق المحكمة في شرح المقدمة "أي الجزرية" تجويد.
- ١٢- شرح إيساغوجي، ويعرف بالمطلع، منطق.
- ١٣- شرح الشافية لابن الحاجب.

- ١٤- غاية الوصول إلى شرح لب الأصول، أصول فقه.
 - ١٥- الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، فقه شافعي.
 - ١٦- فتح رب البرية بشرح العقيدة الخزرجية.
 - ١٧- فتح الحمن بكشف مايلتبس في القرآن.
 - ١٨- فتح الرحمن بشرح رسالة الولي رسلان، شرح الرسالة الرسلانية في علم التوحيد.
 - ١٩- فتح الرحمن على متن لفظة العجلان للزرركشي.
 - ٢٠- فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب، فقه شافعي.
 - ٢١- فتوح منزل المباني بشرح أقصى الأمان في البيان والبديع والمعاني.
 - ٢٢- لب الأصول مختصر جمع الجوامع لابن السبكي.
 - ٢٣- المقتصد لتلخيص مافي المرشد في الوقف والابتداء، وهو مختصر لكتاب المرشد للحسن العماني في التجويد.
 - ٢٤- الملخص في تلخيص المفتاح، بلاغة.
 - ٢٥- منهج الطلاب، فقه شافعي.
- هذه كانت مؤلفات الشيخ المطبوعة المتداولة والتي استطاع الناس الوصول إليها وطبعتها. وله مؤلفات غير مطبوعة وربما قد طبع منها أشياء، لكن لم يقف الباحث عليها، ومن هذه المؤلفات:

- ١- آداب القاضي على مذهب الشافعي.
- ٢- بلوغ الأرب شرح شذور الذهب في النحو.
- ٣- بهجة الحاوي شرح حاوي الصغير للقزويني في الفروع.
- ٤- التحفة العلية في الخطب المنبرية.
- ٥- الدرر السنية في شرح البردة الفانقة.
- ٦- فتح الجليل ببيان خفي أنوار التنزيل للبيضاوي.

- ٧- منهج الوصول إلى تخريج الفصول لابن الهائم.^١
 - ٨- شرح مختصر المزني في فروع الفقه الشافعي.
 - ٩- حاشية على تفسير البيضاوي.
 - ١٠- حاشية على شرح بدر الدين لألفية ابن مالك في النحو أسماها الدرر السنية.
 - ١١- شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول للبيضاوي.
 - ١٢- شرح صحيح مسلم.
 - ١٣- شرح المنهج.
 - ١٤- فتح الباقي بشرح ألفية العراقي في أصول الحديث.
 - ١٥- شرح التبصرة والتذكرة.
 - ١٦- شرح التحرير.
 - ١٧- فتح الباري في شرح ألفية العراقي.
 - ١٨- القانق المحكمة في التجويد.
 - ١٩- فتح المبدع في شرح المقنع في الجبر والمقابلة.
 - ٢٠- البهجة الوردية في فروع الفقه.
 - ٢١- شرح منظومة ابن الهائم في الحساب.
 - ٢٢- الزبدة الرائقة في شرح البردة الفائقة للبوصيري.
 - ٢٣- التحفة الأنسية.
 - ٢٤- الفتاوى.
 - ٢٥- شرح تحرير تنقيح اللباب.
 - ٢٦- شرح البسملة.
 - ٢٧- شرح الورقات لإمام الحرمين.
 - ٢٨- رسالة في كرامات الأنبياء.
- وباستعراض كتاب تحفة نجباء العصر للشيخ زكريا نجد أن المحقق لهذا الكتاب يشير إلى أن كتب الشيخ المطبوع منها والمخطوط تبلغ ٥٦ مؤلفاً.^١

^١ - اللؤلؤ النظيم سامي العاني رسالة الخليج، عدد ١٩٨١، ص ١٠.

ومن المؤكد أن هذه المؤلفات ليست هي كل ما تركه الشيخ زكريا، لكن هذا ما ذكرته المصادر التي استطاع الباحث الوقوف عليها، وهذه الكثرة والتنوع يدلان على سعة اطلاع، وعلى همة كبيرة، وعلى استفادة قصوى ومثمرة من الوقت، وإشغال له فيما يفيد وينفع الأمة في دينها ودنياها.

هـ - تلاميذه:

لما كان عدد العلماء والمشايخ الذين تلقى الشيخ زكريا عليهم العلم كبيرا كان عدد التلاميذ الذين تلقوا عنه العلم أكبر، ذلك أن الشيخ رحمه الله كان ماهراً في كل علوم الشرع والأدب، ولذلك أقبل عليه صغار الطلبة وتكاثر عليه المشايخ الكمل، وقصِدَ بالرحلة إليه من الحجاز والشام، ووسع الناس واستجلبهم بكثرة اطلاعه وتحصيل الكتب الواسعة، ودرّس تلاميذه في حياته وأفتوا، وتولوا المناصب الرفيعة، فقرّرت عينه بهم في محافل العلم ومجالس الأحكام، ومن أعيان من أخذ عنه:

شهاب الدين أحمد الملقب بعميرة البرلسي (ت/٩٥٧هـ)، وشهاب الدين أحمد الرملي الأنصاري (ت/٩٥٧هـ)، وشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن علي بن حجر الهيتمي (ت/٩٧٣هـ) وشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الحمصي الأنصاري (ت/٩٣٤هـ)، وعبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت/٩٧٣هـ)، وزين الدين عمر بن أحمد الشماع الحلبي المسند (ت/٩٣٦هـ)، وبدر الدين محمد بن الغلائي الحنفي (ت/٩٤٢هـ)، ومحمد بن أحمد الشربيني الخطيب (ت/٩٧٧هـ)، والسيد كمال الدين محمد بن حمزة الدمشقي (ت/٩٣٣هـ)، ورضي الدين أبو الفضل محمد بن محد الغزي (ت/٩٣٥هـ)، وولده بدر الدين أبو البركات محمد الغزي (ت/٩٨٤هـ)، وجمال الدين يوسف بن شيخ الاسلام زكريا الأنصاري وغيرهم.^٢

^١ - انظر: تحفة نجباء العصر للشيخ الأنصاري بتحقيق: محي هلال السرحان، ص ٢٥-٢٩ دون طبعة دون ناشر دون تاريخ. وانظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ج ١ ص ٧٣٣.

^٢ - الاعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام، مرجع سابق، ص ٨.

هؤلاء هم بعض تلاميذ الشيخ زكريا، ممن نالوا العلم على يديه وشرفوا بملازمته وصحبته سنين عديدة فاستفادوا منه علماً وسلوكاً، وهذه هي الغاية التي يتمناها ويتوخاها العالم المسلم، ويحث عليها الدين الإسلامي وتدعو إليها التربية الإسلامية.

و على طلاب العلم في هذا العصر التآسي بطلاب العلم في تلك العصور وما سبقها في تقدير العالم وتبجيله ورفع مكانته واعتباره أبا، بل أكثر من الأب ذلك أنهم كانوا يلزمون مشايخهم فترات طويلة أكثر من ملازمتهم لأبائهم.

ولعل قائل يقول ما عاد بالإمكان لطالب العلم أن يلزم أستاذه كما كان يحدث من قبل، لتغير الظروف والأحوال، ولتغير الأنظمة التعليمية، فقد يلتقي طالب العلم بأستاذه فصلاً دراسياً واحداً لا يراه بعدها، وهذا من عيوب النظام التعليمي المعاصر، فالتعليم في الإسلام لا تحكمه منفعة آنية، بل هو عبادة من العبادات التي يؤجر المرء عليها إن أقبل عليه بنية حسنة، بل من المؤسف حقاً أن ترى بعض تلاميذك وتمر من جانبهم فيستكثر أحدهم أن يلقي عليك السلام الذي هو مطلوب من كل مسلم على كل من يعرف ومن لا يعرف، فكيف بأستاذه الذي درّسه ولو مقرراً واحداً، لكن نعود فنؤكد أن ذلك مرده إلى التربية المادية التي ربي عليها أبناؤنا، تلك التربية النفعية التي تطلب لكل شيء مقابل مادي عاجل، مما يجعل بعض الطلاب يعتقدون أن الأستاذ يؤدي واجبه بمقابل، ولما كان قد أخذ حقه مقابل ما قام به من عمل، فليس له بعد ذلك لدى المتعلم أي شيء آخر.

رابعاً: المناصب التي شغلها:

ولي الشيخ زكريا مناصب جليلة وجهات مختلفة أهمها:

١- التدريس، فقد ولي تدريس عدة مدارس رفيعة، وخانقاة صوفية حتى أسند إليه التدريس في مقام الإمام الشافعي، ولم يكن بمصر أرفع منصباً من هذا التدريس.

٢- الإفتاء حيث كان تولى هذه المهمة إلى جانب التدريس.

٣- تولي منصب قاضي القضاة، حيث شغل هذا المنصب واستمر قاضياً مدة

ولاية السلطان الأشرف قايتباي لمدة عشرين سنة، حتى عزل سنة ٩٠٦هـ.

٤- ولي آخر عمره مشيخة المدرسة الجلالية سنة ٩٢٦هـ وهي سنة وفاته، وكان

قد كف بصره في آخر أيامه، ولم يزل في نشر العلم وكثرة الخير والبر

والإحسان حتى توفي رحمه الله تعالى بعد أن قضى قرناً كاملاً من الزمان

مليئاً بالنتائج العلمية والذكر الحسن.^١

ويستنتج من خلال النظر في أعمال الشيخ المناصب والمهام التي تولاهما وأنجزها

كيف أن الله عز وجل يبارك في أعمار وأوقات وأعمال العلماء العاملين المخلصين.

خامساً: وفاته:

كما اختلف المؤرخون في تحديد مولده اختلفوا في تحديد وفاته، وقد رجّح الباحث أن

مولده كان سنة ٨٢٦هـ لاتفاق كثير من المؤرخين على ذلك.

ويذكر الغزي أن وفاة الشيخ كانت ثالث شهر ذي القعدة سنة ٩٢٦هـ عن مائة

وثلاث سنوات.^٢ إلا أن الباحث يرجح أن وفاته كانت سنة ٩٢٦هـ عن مائة سنة

حسب المصادر التاريخية المتعددة. وقد دُفِن بالقرافة بجانب قبر الإمام الشافعي رحمهما

الله تعالى.^٣

المبحث الثاني: الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في عصر الشيخ

زكريا.

تمهيد:

الإنسان كائن إحي يتفاعل مع البيئة التي يعيش فيها فيؤثر فيها ويتأثر بها، ومن هنا

كان لزاماً على كل راغب في دراسة فكر علم من الأعلام أو شخصية من الشخصيات

^١- تحفة نجباء العصر، الأنصاري، مرجع سابق، ص ١١، ١٥.

^٢- الكواكب السائرة للغزي مصدر سابق، ج ١ ص ٢٠٦.

^٣- شذرات الذهب للحنبلي مصدر سابق، ج ١ ص ١٣٦، والكواكب السائرة للغزي مصدر سابق، ج ١ ص ٢٠٦، والضوء اللمع للسخاوي مصدر سابق، ج ٣ ص ٢٣٨.

أن يدرس البيئة التي عاش فيها ذلك العلم أو تلك الشخصية لأهمية انعكاس تلك البيئة على حياة تلك الشخصية في كل مجالات الحياة.^١

وعليه كان لابد من معرفة نبذة عن ذلك العصر الذي عاش فيه الشيخ زكريا الأنصاري سواء أكان من الناحية السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية أو غيرها لمعرفة مدى تأثر الشيخ بتلك النواحي وتأثيره فيها سلباً أو إيجاباً.

أولاً: الحياة السياسية.

لقد عاش الشيخ زكريا في الفترة التي تسلم فيها المماليك الشراكسة مقاليد الحكم من المماليك البحرية، أي أنه عاش الفترة الثانية لحكم المماليك التي استمرت من ٧٨٤-٩٢٣ هـ أي حتى تسلم العثمانيون زمام السلطة في مصر.

ومما يحسب للمماليك نجاحهم في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة بعد سقوط بغداد وإحياء المذهب السني ونشره وترسيخه.^٢

وقد سميت ممالك الفترة الثانية بالمماليك البرجية نظراً إلى أن غالبية سلاطينها من المماليك الذين كانوا يسكنون بروج القلعة على جبل المقطم، وقت حكم المماليك البحرية، وأبرز عناصر المماليك البرجية هم الذين أتوا من بلاد الجركس أو الشركس "القوقاز" وهم ترك.^٣ "قد كان من نظام هذه الدولة أن يكون حكامها وجيشها من الرقيق، وهو نظام لدولة لم تقم في أرجاء الدنيا إلا في ظل الإسلام، وليس له مثيل خارج الإسلام، ولم يظهر بشكله هذا إلا في مصر."^٤

وفي ذلك دلالة على تحقق مبدأ المساواة في الإسلام، وعلى أن الحكم ليس حكراً على فئة دون أخرى، بل هو متاح للجميع إذا تحقق في الحاكم الصفات المطلوبة، وهذه الخصيصة لا توجد في غير دين الإسلام، بل لم تحصل في التاريخ إلا في ظل الحضارة الإسلامية.

^١- ابن خلدون وتراثه التربوي، حسين عبد الله بانبيلة، ص ١٧ ط ١ دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤.

^٢- مختصر التاريخ الإسلامي، محمد عبد الله عودة وآخرون، ص ١٣٨، طبعة دون ناشر، ١٩٨٩م.

^٣- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، عبد المنعم ماجد، ص ١١ دون طبعة مكتبة الانجلو: القاهرة، ١٩٦٤م.

^٤- المرجع السابق، ص ١٠.

ويشير بعض الباحثين إلى أن فترة حكم المماليك كانت فترة انتقال بين عهدين، بعد غزو تيمور لنك لبلاد الشام عام ٨٠٣هـ - عهد القوة والازدهار، وعهد التقهقر والجمود والانحطاط، مشيراً إلى أن أغلب الملوك الذين أتوا بعد هذه الفترة كانوا جهلة أغبياء أهملوا شؤون الشعب وأهملوا التجارة والزراعة، وتسلبت الجيش على الشعب، وانتشر الاقطاع، وتضاءل عدد السكان، وسادت الأمية، وتدهورت أحوال البلاد في جميع الحقول العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية والثقافية، باستثناء فن العمارة، وانشغلت البلاد المصرية والشامية بثورات الحكام ضد السلاطين أو بعضهم ضد بعض، ولم تهدأ ثورات قواد الجيش ضد السلاطين من أجل السلطة والعرش، إذ كان العرش لمن غلب، ولم يكن للشعب شأن في هذا المعترك وإنما عليه أن يدفع ثمن هذه الحروب باهظاً متمثلاً في المصادرة والنهب والضرائب الثقيلة والخراب.^١

وهنا يتبين أن التوسع العمراني لا يدل بالضرورة على تطور في مجالات الحياة الأخرى، إذ قد يكون هذا التوسع من قبل طائفة من الناس هم المستفيدون من فرض الضرائب على الناس، وإرهاقهم بأمور أخرى، أو هم المتنفزون وحدهم وبيدهم مقاليد السلطة، ومن عداهم من أبناء الشعب هم من المحكومين الذين لا حول لهم ولا قوة في ظل الخنوع والذل الذي ران على قلوب المسلمين وسلوكهم حيناً من الدهر، وأصبحت طاعة الحكام واجبة في كل الظروف والأحوال، وظهرت طائفة من الناس تثبت في أذهان الناس ظاهرة فهم القدر في صورته السلبية التي تعني الاستسلام للحكم الجبري أو أي حكم ظالم.

غير أن هنالك صوراً مضيئة لبعض الحكام من المماليك، فالملك الأشرف برسباي الذي أمسك بالحكم عام ٨٢٥هـ، كان يوصف عهده بأنه عهد خير، وأنه كان رجلاً حكيماً محباً للعمران ونشر الفضل، كما قام بتشييد عدد من الدور والقصور والأبنية العامة، كما جهز أسطولاً ضخماً لفتح جزيرة قبرص وتم له ذلك، وعقد عدة معاهدات

^١ - ابن تغري بردي مؤرخ مصر في العصر المملوكي، محمد حسين شمس الدين ص ٩٦ ط ١ دار الكتب العلمية: بيروت، ١٩٩٢م.

سياسية مع بعض ملوك الصليبيين والعثمانيين، وحارب التركمان ملوك العراق، وقد استمر حكمه نحواً من ستة عشر عاماً.^١

ويشير بعض المؤرخين إلى أن من أعماله التي تستحق الإشادة بها منعه الناس من تقبيل الأرض بين يديه كعادة الملوك قبله، وأبدل ذلك بتقبيل اليد فقط.^٢ وإن كان الباحث يرى أن تقبيل اليد فيه إذلال للإنسان وامتهان لكرامته، لكنه أهون من السجود أو تقبيل الأرض بين يدي الحاكم، وهذه الأفعال جميعها تناقض سماحة الإسلام وعدله ومساواته بين المسلمين حكاماً ومحكومين، والفرق بين الحاكم والمحكوم هو أن الحاكم مسؤول أمام الله سبحانه وتعالى عن تحقيق العدل بين المحكومين.

ومن الحكام الذين اتصفوا بالعدل بين الرعية "خشقدم" إذ وصف بأنه كان باراً حليماً محباً للرعية ساهراً على راحتهم، فأحبته الرعية وأجمعوا على طاعته والإخلاص له فحكم ست سنوات ونصف كلها سلام ونعيم. و"قايتباي" الذي تسلم الأمور وكانت في غاية الاضطراب لتوالي الفتن، فاستعمل الصرامة والحزم في معاملة المفسدين حتى استتب الأمر وعادت السكينة إلى البلاد، وساد الأمن وعمّ العدل، ولم يحصل مدة ملكه شيء من الفتن.^٣

أما عن آخر سلاطين المماليك فهو الأمير "قانسوة" الغوري الذي حكم من سنة ٩٠٦-٩٢٢هـ، وفي عهده وقعت معركة مرج دابق بينه وبين العثمانيين وقيل فيها.^٤ تلك كانت صورة لبعض سلاطين المماليك، أما الفترات المختلفة فقد شهدت صراعات سياسية وعسكرية، وكانت فترات الحكم لبعضهم شهوراً فقط تلك الصراعات التي حدثت انعكست على جميع الميادين الانتاجية والإدارية في العصر المملوكي.^٥

^١ - تاريخ العرب، محمد أسعد طلس، ج ٧، مجلد ٥ ص ١٠٦ ط ٢ دار الأنلس، ١٩٧٩م.

^٢ - تاريخ دول الإسلام، رزق الله منقريوس الصرفي، ج ٣ ص ٧٨ دون طبعة مطبعة الهلال والدار العالمية للطباعة والنشر: القاهرة، ١٩٠٨م.

^٣ - المرجع السابق، ص ٨٤.

^٤ - المرجع نفسه، ص ٩٠.

^٥ - الدولة المملوكية، انطوان خليل ضومط، ص ٣٥٦ ط ١ دار الحداثة: بيروت، ١٩٨٠م.

ثانياً: الحياة الاجتماعية:

عند الحديث عن الحياة الاجتماعية في عصر الشيخ زكريا لابد من معرفة تركيبة المجتمع في ذلك العصر، وبالنظر في ذلك نجد أن المجتمع كان يتألف من الفئات الاجتماعية التالية:

أ- فئة المماليك: وهؤلاء عاشوا فئة منفصلة عن بقية السكان، فلم يتزوجوا منهم بل اختاروا زوجاتهم وجواريتهم من بنات جنسهم الأمر الذي أحدث فجوة بين الحكام والمحكومين، كما أثر في المجتمع، حيث تمتع المماليك بحياة تنسم بالبذخ والترف، بل ونعموا بثروات ضخمة جاءت بسبب الاقطاعات الكبيرة التي امتلكوها.^١

ب- فئة المعممين: وتشمل أرباب الوظائف الديوانية والفقهاء والعلماء والأدباء والكتاب، وقد عاش المعممون ولاسيما العلماء في سعة وبسطة في الحياة نتيجة لما أعدهته الدولة عليهم من رواتب، ومما يدل على إجلال هذه الفئة وتوقيرها من قبل السلاطين ما كان يصحب تولي المناصب الكبيرة التي كان يتولاها أفراد هذه الطبقة من رسوم ضخمة.^٢

ج- فئة التجار والصناع والفلاحين: تمتع التجار في عصر المماليك بثروات طائلة، مما جعلهم مطمعاً للسلاطين فأكثرُوا من مصادرتهم بين حين وآخر فضلاً عن إيقالهم بالرسوم الباهضة لذلك لم يطمئن التجار في عصر المماليك على أموالهم وتجاريتهم.^٣

أما الصناع وأرباب الحرف فقد امتلأت بهم المدن الكثيرة، وكان أهل الحرفة الواحدة يكونون نقابة لها نظام ثابت يحدد عددهم ومعاملتهم فيما بينهم وبعضهم، وفيما بينهم وبين الجمهور كما يكون لهم رئيس أو شيخ يرأسهم يرجعون إليه في كل ما يهمهم.

^١ - فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة، حسن عبد العال، ص ٢٦ دون طبعة، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥ م.

^٢ - المرجع السابق، ص ٢٧-٢٨.

^٣ - المرجع نفسه، ص ٢٩.

وهذا يشير إلى أن نظام تكوين النقابات ليس وليد العصر الحاضر وإنما وليد ذلك العصر، وربما قبل ذلك.

وأما الفلاحون وهم السواد الأعظم من الناس (السكان) فلم يكن نصيبهم في عصر سلاطين المماليك سوى الإهمال والاحتقار حتى أصبح لفظ "فلاح" في ذلك العصر مرادفاً للشخص الضعيف المغلوب على أمره، وزاد في حال الفلاحين سوءاً كثرة المغارم والمظالم التي حلت بهم من الولاة والحكام.^١

ثالثاً: الحياة الاقتصادية.

تمتعت مصر بمركز اقتصادي مرموق في ذلك العصر نظراً لازدهار التجارة الداخلية والخارجية والانتعاش الذي شمل جميع مرافق الحياة الأمر الذي ساعد على إعداد الجيوش الضخمة، وإنشاء الأساطيل وغيرها، وكانت موارد بيت المال في عصر دولة المماليك تتكون من عدة مصادر هي:

ضريبة الأرض والمعادن والزكاة والجزية المقررة على أهل الذمة والتركات التي لاوارث لها، وما يتحصل من دار الضرب على النقود في القاهرة، وما كانت تجبيه الحكومة على عروض التجارة الواردة إلى الموانئ المصرية والصادرة منها.^٢ وقد اهتم معظم سلاطين المماليك بالزراعة التي كانت الحرفة الأولى لغالبية السكان، والمورد الأول الذي عاش عليه معظم الأهالي، وقد أسبى استغلال الأرض من حيث توزيعها على شكل قطاعات بين السلطان والأمراء والأجناد، وعني السلاطين بالثروة الحيوانية، وازدهرت الصناعة خاصة المنسوجات والفرش والبسط وصناعة المعادن، وانتشرت صناعة تطعيم البرونز والنحاس بالذهب والفضة، وامتازت مصر بصناعة

^١ - نفسه، ص ٢٨-٢٩.

^٢ - نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، علي سالم النباهين، ص ١٢٩-١٣٠، بتصرف ط ١ دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٨١م.

الزجاج خاصة الملون منه المستخدم في الشبائيك، وكانت مصر مركزاً سياسياً لصناعة الخزف في العالم الإسلامي.^١

أما الصناعات الحربية فقد احتلت مكاناً بارزاً في النشاط الصناعي حيث كان سوق السلاح من الأسواق المشهورة في القاهرة، إضافة إلى صناعة السفن. ورغم الازدهار الاقتصادي إلا أنه كانت تتخلل هذه الفترة بين الحين والحين نوبات من القحط والمجاعة والغلاء والوباء، إلا أن البلاد كانت تستعيد حياتها العادية ويعود إليها الرخاء الشامل.^٢

ومن المعلوم أن الحالة الاقتصادية تنعكس على الحالة التعليمية سلباً أو إيجاباً، فتزدهر الحياة الثقافية عموماً بازدهار الاقتصاد، وتتكمش وتقل عندما تسوء الأحوال الاقتصادية.

رابعاً: الحياة العلمية والفكرية:

مما لا شك فيه أن الحياة العلمية والفكرية في مصر في تلك الفترة بلغت شأنًا رفيعاً، بعد أن أصبحت مركز الثقل في العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد، وظهورها من جديد في مصر أيام حكم المماليك وقد اتجهت الحركة العلمية والأدبية إلى مصر، وتجمعت فيها جموع العلماء القادمة من العراق والشام والأندلس، وقد إمتازت الحياة الفكرية في تلك الفترة بالإقبال الشديد على تأليف الموسوعات الضخمة، وكان للعلوم الإسلامية نصيب وافر في تلك الحركة العلمية الواسعة، وكذا العلوم التطبيقية والطبيعية، ومما يدل على ازدهار الحياة العلمية آنذاك العناية بإنشاء المؤسسات التعليمية من مدارس ومكاتب ومساجد وخوانق وربط وزوايا.^١ ولاشك أن لنظام الوقف في ذلك العهد دوراً في ازدهار الحركة العلمية.

^١ - المرجع السابق، ص ١٣١-١٣٢.

^٢ - المرجع نفسه، ص ١٣٣.

المبحث الثالث: التربية والتعليم في عصر الشيخ الأنصاري:

كان هناك العديد من المؤسسات التي تعنى بنشر التعليم في ذلك العصر، ولعل من أبرز هذه المؤسسات المدارس التي توالى إنشاؤها في عصر المماليك بعد الأيوبيين. وكانت هذه المدارس بمثابة معاهد للتعليم العالي يخصص لكل مدرسة منها المدرسون والمعيدون والموظفون، وقد أوقف عليها الأوقاف الوفيرة لتضمن للطلاب والمدرسين قدراً من الحياة الهادئة تجعلهم ينصرفون إلى الإشتغال بالعلم آمنين مطمئنين.^٢

أما التعليم الابتدائي فقد نهضت به المكاتب التي أنشئ عدد كبير منها لتعليم أبناء العامة إضافة إلى تعليم الأيتام من أبناء المسلمين والذي كان تعليمهم غرضاً من أغراض تأسيسها، طلباً للثواب، الأمر الذي دفع إلى إنشاء العديد منها، وحبس الأوقاف عليها للعناية بالأيتام وتعليمهم ورعايتهم.^٣

ويمكن القول أنه كان هناك نوعان من التعليم، نوع يقدم للمماليك الصغار وأبناء السلاطين والأمراء، ونوع يقدم للعامة، أو بمعنى آخر تعليم حكومي (عام) وتعليم أهلي (خاص)، حسب ما هو متعارف عليه في العصر الحاضر، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

١- التعليم (الأهلي) الخاص:

ويخصص هذا النوع من التعليم لتربية المماليك الصغار وأبناء السلاطين والأمراء. وقد كان للمماليك نظامهم الخاص في تربية المماليك الصغار فيما كان يسمى بالطباق، وكانت هذه التربية قائمة على فلسفة معينة تهدف إلى إعداد وتربية المماليك الصغار على الإسلام بدءاً من اعتناقه بمفهومه الشامل وصولاً إلى إيجاد الجندي المسلم المجاهد.. وكان التعليم يتم في الطباق الذي كان يشتمل على عدة مساكن، وبها المدارس

^١ - نفسه ص ١٥١.

^٢ - نفسه ص ١٥١-١٥٢. بتصرف.

^٣ - نفسه ص ١٥٢. بتصرف.

التي يتم فيها التعليم. أما أبناء السلاطين والأمراء فيبدو أنه كانت لهم مدارس خاصة بهم أو يأتي إليهم معلمون مخصوصون في منازلهم.^١

أما عن منهج المرحلة الأولى فقد تمثل في القرآن الكريم وعلومه، والفقه وعلم الحديث واللغة العربية.

وأما منهج المرحلة الثانية فقد كان يهدف إلى تربية ممالك الطباق تربية عسكرية حيث يتعلمون فنون ومهارات الحرب من رمي السهام ولعب الرمح وركوب الخيل والضرب بالسيف والمران على المصارعة وسباق الخيل وغيرها، وكانت تتم هذه التمارين في ميادين اللعب المعروفة آنذاك.^٢

٢- التعليم الحكومي (العام).

وهذا هو التعليم الذي يقدم للعامة، وانطلاقاً من فلسفة أو مبدأ العلم عبادة وقربة يتقرب بها المرء إلى الله سبحانه وتعالى فقد تنافس المتنافسون في ذلك العصر في نشر العلم، فأقيمت المؤسسات المختلفة للتعليم، وكانت فلسفة التربية حينذاك تهدف إلى خيرى الدنيا والآخرة معاً، وامتازت بالجانب الإيماني والأخلاقي، وجاءت أهداف التربية مشتقة من فلسفة التربية الإسلامية ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرتها عن الحياة منبثقة عن الهدف الكبير وهو العبادة بمفهومها الشامل، وعلى أساس الصلة الدائمة بالله تعالى، ولذلك جاءت منظمة للحياتين الدنيوية والأخروية معاً، ومما يدل على ذلك مناهج التعليم إذ شملت العلوم الطبيعية والإنسانية بجانب العلوم الدينية، ولم يكن يعرف في ذلك العصر من يسمى (برجل الدين) فكل عالم رجل دين ودنيا، يأخذ من العلوم المختلفة بأوفر قسط، والدليل على ذلك الشيخ زكريا الأنصاري الذي كان عالماً موسوعياً، درس الفقه وأصوله، والعربية وعلومها، وعلم الهيئة والهندسة والميقات، والفرائض والحساب والجبر والمقابلة، والطب وغير ذلك من علوم العصر.^٣

^١ - نفسه، ص ١٦٢، ١٥٦-١٦٣.

^٢ - نفسه، ص ١٧٥، ١٧٣.

^٣ - نفسه، ص ٢١٧ بتصرف.

ومما لاشك فيه أن هنالك عددا كبيرا من العلماء المشهورين الذين حصلوا علوما مختلفة.

أما عن السمات العلمية أو ما يتعلق بالجانب الأكاديمي للمدرسين في ذلك العصر فإنهم لم يعرفوا التخصص بمعناه الضيق الذي يعرف اليوم. إذ كل واحد منهم كان يجيد عدة علوم رغم امتيازته في واحد منها أو أكثر، ولعلمهم أدركوا أهمية التخصص وضرورته، وأدركوا خطورة ضيق الأفق وحصر المرء لنفسه في دائرة تخصصية بحثة، كل ذلك أدركوه قبل أن تدركه التربية المعاصرة.^١

غير أن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى أن لكل عصر ظروفه وخصائصه، ولا ريب أن التخصص الدقيق يتلاءم مع متطلبات العصر الحاضر نظرا لتراكم المعلومات والمعارف وتوسعها توسعا كبيرا، بحيث بات التخصص الواحد يتفرع إلى تخصصات متعددة، وليس المطلوب عند دراسة فكر أحد العلماء وما كان يتمتع به من موسوعية في العلم أن نحذو حذوه وأن نفتفي أثره في كل صغيرة وكبيرة، بل المطلوب أن نأخذ منه ونتأسى به فيما كان نافعا وصالحا ومنسجما مع العصر والظروف والامكانات، لأنهم عاشوا في ظروف مختلفة تماما عن الظروف الحالية، والأمة بحاجة إلى الاستفادة من همهم في التعلم والتعليم، ومن سلوكهم الإسلامي الملتزم بأحكام الإسلام، ومن توجيهاتهم وأفكارهم التربوية التي لا تتعارض مع حاجات ومقتضيات البيئة والعصر الذي نعيش فيه.

الفصل الثاني: آراء الشيخ زكريا الأنصاري التربوية من خلال رسالته "اللولؤ النظيم في روم التعلم والتعليم".

تمهيد:

سبقت الإشارة إلى بعض كتب ورسائل الشيخ زكريا المطبوعة منها إلا أنه يمكن القول إن أكثر مؤلفات الشيخ ورسالته إنما كانت عبارة عن شروح وتلخيصات، وقليل منها بحث جديد مبتكر، أو فكرة مستقلة، وهذا القول لا يعني انتقاصاً من مكانة الشيخ وعلمه وورعه وتقواه.

ولعل السبب الذي جعله يقتصر على الشروحات طبيعة العصر الذي عاش فيه، حيث تعد تلك الفترة من فترات التقليد والجمود إلا فيما ندر، وإن وجد شيء من التحرر والخروج عن تلك الطبيعة والحال فهو شيء يسير، إذ نجد أن معظم علماء ذلك العصر اقتصرُوا على ما كتبه أسلافهم دون محاولة التأصيل والإبداع والتجديد والإضافة إلا ما كان من أفراد أذاذ خرجوا على هذه القاعدة، وبالنظر إلى مؤلفات الشيخ زكريا - وهو أحد علماء تلك الفترة - يتبين انصراف الشيخ إلى الشروح والتعليقات دون الكتابة المستقلة إلا ما ندر، رغم ما كان يتمتع به من سعة اطلاع وشمولية علمية وتبحر في العلم. لكن ذلك لم يحل دون اعتبار بعض الباحثين الشيخ زكريا مجدد القرن التاسع الهجري^٢

أما رسالته التربوية - موضوع الدراسة - فإنها لا تختلف كثيراً عن كتبه الأخرى إذ أنها تلخيص لما سبقه إليه العلماء قبله ممن كان لهم مساهمات في الكتابة التربوية أمثال الخطيب البغدادي، والماوردي، والغزالي، وابن عبد البر، والأجري، وغيرهم، وإن لم يذكر الشيخ ذلك أو يعزو الأقوال إلى أصحابها، فإن شأنه في ذلك شأن الكثير من العلماء في ذلك العصر وفي غيره من العصور السابقة خاصة، دون أن يروا في ذلك شيئاً. والفارق بين الشيخ زكريا وبين من سبقه من العلماء الذين ذكروا هذه المسائل هو

^١ - نفسه، ص ٢٩٩.

^٢ - التراث التربوي في خمس مخطوطات، هشام شابة اللؤلؤ النظيم، ص ١٩٤ ط ١ دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٨٨م.

أنهم ذكروا تلك الشروط تحت مسمى آداب المعلمين والمتعلمين في حين أوردها الشيخ زكريا مختصرة تحت مسمى (شروط تعلم العلوم وتعليمها) ركز فيها على الطالب أكثر من تركيزه على المعلم، ولعل تسميتها بهذا الاسم أوفق وأكثر دقة، إذ أن المستهدف من العملية التعليمية إنما هو الطالب المتعلم، حيث يلزمه تحري هذه الشروط حال الطلب، وعلى المعلم أن يساعد المتعلم في تحقيقها والعمل بمقتضاها.

وقد ذكر الشيخ بعد ذلك ما أسماه ب(آفات الاشتغال بالعلم) وهي الموانع التي تمنع المرء عن طلب العلم أو الاستمرار في طلبه أو في تعليمه ونشره، ثم قام بعدها بحصر أنواع العلوم وتعريف كل علم وفائدته، وفي هذه الدراسة يقتصر الباحث على ذكر أنواع العلوم دون التطرق إلى تعريف العلم وفائدته التي ذكرها الشيخ خشية الإطالة أولاً ثم لأنها في نظر الباحث من الأمور البديهية.

وفيما يتعلق بوضع عناوين لم يكن الشيخ قد وضعها؛ فإن الباحث قد اجتهد في وضعها ذلك أن الشيخ عند ذكره لشروط تعليم العلوم ذكر تلك الشروط دون أن يضع عنواناً لأي منها، ورأى الباحث وضع عنوان لكل شرط زيادة في الفائدة وتوضيحاً للمعنى، وكان لابد من ذلك قبل الاسترسال في كلام الشيخ أو الدخول فيه مباشرة.

المبحث الأول: مبادئ التعلم والتعليم عند الشيخ الأنصاري.

وقد سماها الشيخ شروط تعلم العلوم وتعليمها. وقد جعلها اثني عشر شرطاً.

المبدأ الأول: أو ما أسماه الشيخ بالشرط الأول: (إخلاص النية في طلب العلم):

ينصح الشيخ زكريا طالب العلم "أن يقصد به ما وضع ذلك العلم له، فلا يقصد به غير ذلك كاكْتِسَاب مال أو جاه أو مغالبة خصم أو مكاثرة".

يرى الشيخ أن من شروط التعلم "إخلاص النية لله تعالى، وأن يطلب العلم لذات العلم وابتغاء وجه الله سبحانه، ولا يطلبه قاصداً بطلبه اكتساب المال، أو الحصول على مكانة، أو مغالبة خصم أو طلب المكاثرة" فهذه الأمور إنما هي من صفات طلاب العلم الذين لا يعملون بما يقتضيه علمهم، بل يسعون بعلمهم إلى المباهاة والمفاخرة والجدل والمرء

كما أوضح ذلك الآجري^١، بل وأشار إليه كل من كتب في التربية والتعليم من علماء السلف في باب طلب العلم تحديداً.

وهذه الشروط التي ذكرها الشيخ وغيره صارت مبادئ أجمع عليها العلماء وطلاب العلم عبر التاريخ الإسلامي.

ومما ينبغي أن يتصف به طالب العلم والعالم من باب أولى أن يبتغي كلا منهما بعلمه وجه الله تعالى، وأن لا يجعل من تعلمهما وتعليمهما هدفاً دنيوياً نفعياً خالصاً.

وعلى طالب العلم أن يكون حسن النية في طلبه للعلم، فيقصد به وجه الله تعالى وإحياء الشريعة وتنوير قلبه، وتحلية باطنه، والقرب من الله يوم لقائه، والتعرض لما أعد لأهله من رضوانه وعظيم فضله، قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد من نيتي. وأن لا يقصد به الأغراض الدنيوية.^٢

وما ذكره الله في كتابه وما ذكره رسوله في سنته، وما كتبه العلماء في فضيلة العلم وما أعدده الله لحملته، إنما ذلك كله في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه لغير ذلك، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم "من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار"^٣ "وعنه صلى الله عليه وآله وسلم" من تعلم علماً مما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة"^٤

^١ - أخلاق العالم والمتعلم للآجري، عبد الرؤوف يوسف عبد الرحمن، ص ٦٢ ط ١ دار الجبل: بيروت، ١٩٩١ م.

^٢ - لأب العلماء والمتعلمين، جمعه الحسين بن القاسم بن محمد بن علي، ص ٥٩-٦٠ ط ١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ودار المناهل: بيروت ١٩٨٥ م.

^٣ - صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ج ٢ ص ٣٣٧، بلفظ: "من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس أدخله الله النار" الحديث حسن، رقم الحديث: ٢١٣٨ ط ١، مكتبة التربية العربية لدول الخليج: الرياض، ١٩٨٨ م.

^٤ - صحيح الجامع الصغير، زيادته، محمد ناصر الدين الألباني، ج ٥ ص ٢٧٢، حديث صحيح أخرجه أحمد وأبي داود وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ط ٢، المكتبة الإسلامية: بيروت، ١٩٧٩ م.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أول الناس يقضى لهم يوم القيامة. - وذكر الثلاثة وفيه - رجل تعلم العلم وعلمه يقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرأت فيك لقرآن، قال: كذبت ولكن تعلمت ليقال عالم وقرأت ليقال قارئ، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار"^١

وذكر العلابي عن ابن عائشة عن أبيه قال: قال العباس لابنه عبد الله: يا بني لا تعلم العلم لثلاث خصال: لا تراني به، ولا تماري به، ولا تباهي به. ولا تدعه لثلاث خصال: رغبة في الجهل، وزيادة في العلم، واستحياء من التعلم."^٢

ويعد التواضع وترك الإعجاب بالعلم ونبذ حب الرئاسة عنه من أفضل آداب العالم وأسمى السمات التي يتحلى بها، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله"^٣، وقللوا: المتواضع من طلاب العلم أكثر علما، كما أن المنخفض أكثر البقاء ماء."^٤

ويرى الغزالي أن الغرض من التربية التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة، وألا يقصد المتعلم بتعلمه الرياسة والمال والجاه، وممارسة السفهاء، ومباهاة الأقران."^٥ لذلك ينبغي على طالب العلم أن يجعل نيته خالصة لله تعالى، وأن يكون علمه ابتغاء وجهه، وأن يتواضع لغيره، وأن يكون قدوة في أمور حياته كلها.

^١ - سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، ج ٢، ص ٦٥٨، حديث صحيح رقم الحديث ٢٩٤ ط ١ مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض، ١٩٨٨م.

^٢ - جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر ص ١٨٧، طبعه دار الكتب الحديثة: القاهرة دون تاريخ.

^٣ - صحيح الجامع الصغير وزيادته مصدر سابق، ج ٥، ص ٢٧٣، حديث صحيح بلفظ من تواضع لله رفعه رقم الحديث ٦٠٣٨.

^٤ - جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق ص ١٨٨.

^٥ - التربية الإسلامية وفلاسفتها، محمد عطية الأبراشي ص ٢٢ ط ٢، عيسى البابي الحلبي: القاهرة دون تاريخ.

المبدأ الثاني: وهو الشرط الثاني عند الشيخ زكريا: مراعاة الميول العلمية والفروق الفردية.

يوجه الشيخ اهتمامه إلى ذلك بقوله: "أن يقصد العلم الذي تقبله طباعه، إذ ليس كل أحد يصلح لتعلم العلوم، ولا كل من يصلح لتعلمها يصلح لجميعها، بل كل ميسر لما خلق له".
إن الاهتمام بهذين الأمرين من الأشياء التي توليها التربية الإسلامية والتربية المعاصرة أهمية كبيرة، فمراعاة الفروق الفردية مبدأ من أهم المبادئ في التربية الإسلامية، ويعد من أحدث المبادئ في التربية المعاصرة، ومراعاة الميل العلمي للطلاب لا يقل أهمية عن مراعاة الفروق بين الطلبة، لذلك ينبغي الاهتمام به ومراعاة ذلك من قبل المعلمين وأولياء الأمور والمؤسسات التربوية والتعليمية.

إن نظام التعليم في الإسلام احترام الميول والرغبات الفردية، وسمح لها بالانطلاق دون وضع أي قيود على نشاطها، فلم يقيد الطالب بدراسة علم معين، وإنما كان يختار بحرية تامة العلوم التي تتفق مع ميوله.^١

واختيار الطالب لنوع معين أو علم معين لاشك أن له دخل كبير في عملية التحصيل، وقد بين علماء نفس التعلم وجود فروق بين الناس لافي القدرة العامة على الإدراك فقط، بل في القدرات الخاصة والنوعية أيضاً، ولهذا فإذا اختار الطالب العلم الذي له فيه قدرة نوعية خاصة، فإنه بلاشك لا يجد الصعوبة في تعلمه من جهة، وينتج فيه ويتقدم في تحصيله من جهة أخرى.^٢

وتبقى على المعلمين مسؤولية كبرى في هذا الأمر، وإلى هذا أشار الغزالي موجهاً كلامه إلى المعلمين بقوله: "أن يقتصر المعلم بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله فينفره، أو يخطب عليه عقله"^٣ ولا يخاطب الأذكياء بما يخاطب به الأغبياء، ولا يخاطب الخاصة بما يخاطب به العامة، فالذكي يفهم الشيء بالإشارة، والغبي

^١ - التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه في الحاضر، إبراهيم العنوي، ص ٢٩ دون طبعة دون ناشر: مكة المكرمة، ١٩٧٧م.

^٢ - توجيه المتعلم في ضوء التفكير الإسلامي، مقداد الجنب، ص ٧٧ ط ١ دار المريخ: الرياض، ١٩٨٢م.

ربما لا يفهمه إلا بعد أن يكرر له عدة مرات، ولذلك قيل: كلٌ لكل عبد بمعيار عقله، ووزنٌ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك، وضغٌ كل شيءٍ في موضعه".^١

ولم يكن الغزالي وحده هو من أشار إلى ذلك، بل نجد غيره ممن لهم اهتمامات تربوية قد أشاروا إليه أمثال ابن سينا الذي يقول: "ينبغي على من يقوم بتوجيه الصبي إلى الصناعة أو المهنة أن يعلم أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة مواتية، ولكن ما شاكل طبعه وناسبه"، ويقول: "ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار الصناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه، فيختار له الصناعة بحسب ذلك".^٢

وإذا كانت التربية المعاصرة تنادي بتطبيق هذا النظام في العصر الحاضر، فإن التربية الإسلامية اهتمت به منذ مدة طويلة، ففي ظل التربية الإسلامية كان لكل طالب الحرية في أن يختار أستاذه الذي يتلقى عنه العلم دون أن يفرض عليه أستاذ معين، ويختار المواد التي يدرسها ويسير في كل منها على حسب مستواه.^٣

وكان بعض العلماء يوجه الطلبة وينصحهم إلى تحري مثل هذه الأمور، فهذا ابن حزم ينصح طالب العلم بأن يعتمد العلم الذي يسبق فيه بطبعه وبقلبه وبحيلته فيستكثر منه ما أمكنه، فربما كان منه ذلك في علمين أو ثلاثة أو أكثر على قدر ذكاء فهمه، وقوة طبعه، وحضور خاطره، وإكبابه على الطلب.^٤

من كل ذلك تبرز أهمية التركيز على هذا الجانب وإعطائه أولوية بالنسبة لمؤسسات التربية والتعليم، ومن قبل المعلمين، وأولياء الأمور، وكذلك الطلاب أنفسهم.

المبدأ الثالث أو الشرط الثالث: التمكن العلمي.

يشير الشيخ إلى ذلك بقوله: "أن يعلم غاية ذلك العلم، ليكون على ثقة من أمره" وكأنه يطلب من المتعلم أن يصبر على تعلم العلم حتى يصل إلى إدراك دقائق العلم، وبمعنى

^١ - التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق ص ٣١-٣٢.

^٢ - من أعلام التربية العربية الإسلامية، ابن سينا، محمد عثمان نجاتي، ج ٢ ص ٢٦٠ دون طبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج: الرياض دون تاريخ.

^٣ - تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، ص ١١٩ دون طبعة دار الكتب العلمية: بيروت دون تاريخ.

^٤ - من أعلام التربية العربية الإسلامية، مرجع سابق، التربية عند ابن حزم، سعيد الأفغاني، ج ٢ ص ٢٨٥.

آخر التبحر في العلم الذي يريد الطالب أن يتخصص فيه، ليفيد ويستفيد، ولا يعني هذا الإقتصار على علم واحد دون النظر في العلوم الأخرى، فإذا تحققت أهلية طالب العلم وتأكدت معرفته فالأولى أن لا يدع فنا من العلوم الشرعية (أو غير الشرعية) إلا نظر فيه، كما أشار إلى ذلك ابن جماعة، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فذاك، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم - هذا فيما عدا العلم الذي تخصص فيه - ويعتني من كل علم بالأهم فالأهم، ولا يغفل عن العمل الذي هو المقصود بالعلم.^١

وكم هي المؤسسات التربوية بحاجة للاستفادة من هذه التوجيهات التربوية في عصر التخصصات الدقيقة، لينصرف طالب العلم إلى التعمق في تخصصه حتى يكون مرجعاً فيه، مع اطلاعه على علوم أخرى للثقافة العامة والتي أصبحت مطلباً ملحا لكل العلماء. إننا نعيش في عصر تدفق المعلومات، الذي لا يستطيع الفرد مهما أوتي من ذكاء أن يتابع جزءاً منه، فضلاً عن متابعته كله، الأمر الذي يستوجب الاتجاه إلى التخصص الدقيق.

المبدأ الرابع: التخصص الدقيق في نوع محدد من العلوم. أو ما أسماه الشيخ بالشرط الرابع:

يشير الشيخ إلى ذلك بقوله: "أن يستوعب ذلك العلم من أوله إلى آخره تصوراً وتصديقاً"

إن استيعاب العلم لا يتأتى بدون التفرغ له وقضاء معظم الأوقات في تعلمه وتعليمه والبحث والمطالعة والمدارسة والمذاكرة، وهذا كله بحاجة إلى حسن استغلال وتنظيم للوقت، وقد حث علماء السلف على ذلك بأقوالهم وسلوكهم العملي وكانوا قدوة في كل ذلك، بل في سبيل العلم ضحوا بجهدهم ومالهم وحياتهم ليضربوا أمثلة رائعة في هذا الميدان.

^١ - تنكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق ص ١١٩.

وقول الشيخ "تصوراً وتضديفاً" كأنه يريد بذلك الجانب النظري والعملية لذلك العلم، أو ما يسميه العلماء بمبدأ "اقتضاء العلم العمل"، وهذا المبدأ كان يحرص على تطبيقه العلماء، بل كانوا يستعينون على فهم العلم وحفظه بالعمل به وممارسته، وهذا الأمر ظهر من أيام الصحابة حينما كانوا يستعينون على حفظ أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتطبيقها والعمل بها في حياتهم.

وتظل مسؤولية المعلمين والعلماء كبيرة في هذا الجانب، والجهد المطلوب منهم أكبر مما هو مطلوب من غيرهم، فعليهم أن يكونوا عند مستوى نظر العامة إليهم فهم موضع القدوة والمثال الذي يحتذى، ولا بد لهم من فهم متطلبات العصر وظروفه.

ومما يجدر ذكره هنا أن التربية الإسلامية لاتعارض الاستفادة من كل جديد يخدم الإنسانية ويخدم الأمة المسلمة أو لا إذا كان لا يتعارض مع الشريعة.

والتربية المعاصرة تشترط على المعلم أن يفهم ظروف عصره وما يدور حوله من العلوم المتقدمة في الجوانب الكونية والمادية والتعليمية، وهذا يتفق مع دعوة الإسلام والتربية الإسلامية إلى ذلك.¹

أما العمل بمقتضى العلم أو العمل بما يفرضه العلم على حامله فيعد الجانب الأهم في العملية كلها، بل هو الثمرة والنتيجة من العلم الذي يتعلمه الفرد في أي جانب من جوانب العلم أو مجال من مجالاته، فلا فائدة من علم لا يعقبه عمل، كما لا خير يرجى من عمل لا يصدر عن علم، فلا بد من تلازم الأمرين معاً، وقد حث القرآن الكريم في كثير من آياته على ذلك وكذا السنة المطهرة ورد فيها أحاديث عدة تحث على ضرورة اقتران العلم بالعمل، وتحث على ضرورة العمل بالعلم، وقد أفاض علماء السلف في الحث والنصح والتذكير بأهمية هذا المبدأ بأقوالهم وأفعالهم.

و"لما كان العلم للحياة ومن أجل خدمتها فينبغي أن يكون مشاعاً بين الناس بما يلامس تطلعاتهم وحاجتهم. ومن الممكن القول: إن قوة المعرفة تكمن في إمكانية نشرها

¹ - أخلاق العالم والمتعلم للآجري ص ١٣٨.

وتبليغها، وإضاءة الحياة بها، والمعرفة التي لاتقبل النشر، تفتقر في الدرجة الأولى إلى القوة والنمو، فهي كسيرة جدا^١

المبدأ الخامس: اختيار المقرر المناسب.

ذكر الشيخ في الشرط الخامس حسن اختيار المقرر وقال موجهاً حديثه لطالب العلم: "أن يقصد فيه الكتب الجيدة المستوعبة لجملة الفن".
إن التربية الإسلامية تؤكد على ضرورة أن يختار طالب العلم التخصص الذي يرغبه والعلم الذي يميل إليه، كما تؤكد على أهمية اختيار المنهج أو المقرر الذي يدرسه في ذلك التخصص، وعلى طالب العلم أن يستعين بأستاذه وشيخه ويستشيريه في هذا الأمر ليستفيد من خبرته وعلمه، وإن وجهه أستاذه إلى مؤلفات وموضوعات فليتجه إليها وليعمل بنصح أستاذه وتوجيهه.

المبدأ السادس: اختيار الشيخ أو العالم.

في الشرط السادس حث الشيخ زكريا على أهمية اختيار الشيخ الذي يطلب العلم على يديه. حيث قال موجهاً كلامه لطالب العلم: "أن يقرأ على شيخ مرشد أمين ناصح، ولا يستبد بنفسه وذكائه".

وهذا الأمر في غاية الأهمية، وقد أوضح بعض العلماء المسلمين أهمية ذلك حيث قال ابن جماعة موجهاً نصحه لطالب العلم: "ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه، ويكسب حسن الأخلاق والآداب عنه، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته، وتحققت شفقته، وظهرت مروءته، وعرفت عفته، واشتهرت صيانتته، وكان أحسن تعليماً وأجود تفهيماً، ولا يرغب الطالب في زيادة العلم مع نقص في ورع أو دين أو عدم خلق جميل"^٢

^١ - حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكار، ص ١٢٠ ط ١ دار القلعة دمشق، والدار الشامية: بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

^٢ - تذكرة السامع والمتكلم، مصر سابق ص ٨٥.

واتصاف المعلم بهذه الصفات الخلقية الحميدة التي حث عليها الإسلام ضرورة لازمة، وأمر مفروغ من إدراك أهميته، ولا بد من تحريره، ويتحمل طلاب العلم مسؤولية كبيرة في هذا الجانب ولا سيما الراشدون منهم، أما الصغار فتقع المسؤولية على أولياء الأمور، وفي العصر الحاضر تقع المسؤولية في هذا على المؤسسات التربوية والتعليمية إذ عليها أن تختار من المعلمين من هو " ناصح، نقي الحسب، مأمون الغيبة، عدل في الدين، كريم العرق، كبير السن، لا يخالط السلطان، ولا يلبس الدنيا، بحيث يشغله عن دينه، وإذا وجد مثل هذا المعلم فإن على الطالب أن لا يتكبر على العلم، ولا يتأمر على المعلم، بل يلقي إليه بزمام أمره، ويدعن لنصيحته إذعان المريض للطبيب، أما تكبره على العلم واستنكافه من أن يستفيد ممن يعرف فإن ذلك عين الحمق، بل الحكمة ضالة كل حكيم فحيث يجدها فهو أحق بها، فينبغي أن يغتنمها ويستفيدها"¹

إن هذه الصفات المطلوب تحقيقها في المعلمين يمكن أن نسميها "أخلاق المهنة" أو ما يطلق عليه في بعض البلاد العربية ب"الميثاق الأخلاقي التربوي" وهو أمر يعد من ضروريات المهنة، ليس فقط مهنة التعليم بل كل المهن، غير أنها في التعليم أكثر ضرورة، والخلق في الإسلام لا بد منه، وهو أمر لازم في كل شأن من شؤون الحياة في المجتمع الإسلامي.

المبدأ السابع أو الشرط السابع: تنمية العلم بالذاكرة والمناظرة:

يحث الشيخ زكريا طالب العلم " أن يذاكر به الأقران والأنظار طلباً للتحقيق لا للمغالبة بل للمعاونة على الإفادة والاستفادة"²

ومذاكرة الأقران في العلم من المبادئ التربوية التي كانت سائدة لدى علماء السلف منذ القرن الأول.

وهذه المذاكرة من الأمور التي دعا إليها كثير من العلماء بل اتصف بها الكثير منهم نظراً لما للمذاكرة من أثر في تحريك الهمم واندفاعها نحو مزيد من التعلم، لذلك كان

¹ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، ج ١ ص ١٩ ابتصر فدون

لا بد من مراعاة حسن اختيار القرين الجيد ليكون عاملاً مساعداً على التحصيل، والتحري في اختيار القرين زميل المذاكرة تأتي من كون وجود مثل هذا الزميل الموافق من السندرة بحيث يندر أن تجد الصديق صاحب الهمة العالية في التعلم، الذي تتوفر فيه كثير من الصفات، والحصول على زميل كهذا لا يكون إلا بعد البحث والمشورة.^١

إن المذاكرة التي تتم بين طلبة العلم، أو بين العلماء ينبغي أن تكون طلباً للثواب وإظهار الصواب للمفاخرة والعصبية، أو لهيجان القوة الغضبية، وما أفلح من نبض فيه هذا العرق.^٢

المبدأ الثامن أو الشرط الثامن: بذل العلم لمن يستحقه.

يحث الشيخ طالب العلم "أنه إذا حصل ذلك العلم لا يضيعه بإهماله، ولا يمنعه عن مستحقه، لخبر "من علم علماً نافعاً وكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار". ولا يؤتية غير مستحقه لما جاء في كلام النبوة "لا تعلقوا الدر في رقاب الخنازير"، أي لا تؤتوا العلوم غير أهلها. ويثبت ما استنبطه بفكره مما لم يسبق إليه لمن أتى بعده، كما فعل من قبله. فمواهب الله تعالى لا تقف عند حد".

ولأهمية هذا المبدأ حثت التربية الإسلامية على ضرورة بذل العلم واعتبرت ذلك زكاة للعلم الذي تعلمه المرء حتى صار هذا مبدءاً من مبادئ التعلم والتعليم حفاظاً على العلم وتنمية له.

إن تنمية العلم لا تأتي إلا من خلال بذله وتعليمه، ومن آداب العلماء العاملين أنهم لا يبخلون في تعليم ما يحسنون، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون، ذلك أن البخل بالعلم لؤم وظلم، كما أن المنع منه حسد وإثم كما أشار إلى ذلك الماوردي.^٣

طبعة دار الكتب الحديثة: القاهرة دون تاريخ.

^١ - العلم بين يدي العالم والمتعلم، جاسم مهلهل ص ١٥ دون طبعة مكتبة دار العودة تنون بلدون تاريخ.

^٢ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة مصدر سابق، ج ١ ص ٣١.

^٣ - أنب الدنيا والدين، لأبي الحسن الماوردي، تحقيق وتقديم مصطفى السقا، مراجعة وتعليق محمد شريف سكر ص ١٢٠ ط ١ دار إحياء العلوم: بيروت، ١٩٨٨ م.

والإسلام يحث أتباعه على الإقبال على التعلم والتعليم، ويحث العلماء على نشر العلم وتعليمه وبذله لمن يستحقه، بل إن من آداب وصفات العلماء العاملين بذلهم للعلم وعدم بخلهم به، وتاريخ الإسلام حافل بالعديد من الصور والروايات التي تشير إلى مثل هذا السلوك الحسن، حيث كان العلماء وطلاب العلم يرحلون في طلب العلم إلى أماكن بعيدة ويتحملون فراق الأهل والوطن، ويتحملون مشاق الرحلة ومتاعب السفر، ويبدلون الجهد والمال في سبيل تعلم مسألة أو معرفة حديث نبوي، أو الحصول على حكمة أو أثر، أو تعلم علم ديني أو دنيوي.

والشيخ الأنصاري وهو واحد من أولئك العلماء الذين تحملوا المتاعب والمشاق في طلب العلم، نجده هنا يقدر أهمية العلم وأهمية بذله لمن يستحقه، وهي مسألة مهمة فليس كل من يسأل يطلب علماً، فهو هنا يشير إلى الحكمة القائلة "لاتعلقوا الدرر في رقاب الخنازير" وهو قول مأثور عن عيسى عليه السلام، كما يشير إلى هذا محقق الرسالة مستدلاً بما أورده الغزالي في الإحياء بلفظ: "لاتلقوا الجواهر في أعناق الخنازير" وينسب هذا القول لعيسى عليه السلام ويفسر الأنصاري هذه الحكمة بقوله: "لاتؤتوا العلوم غير أهلها" ثم يشير إلى نقطة جديرة بالإشارة إليها وهي قوله: "ويثبت ما استنبطه بفكره مما لم يسبق إليه لمن أتى بعده كما فعل من قبله فمواهب الله لاتقف عند حد"^١

وهذا الاستنباط يدل على تراكم المعرفة وضرورة البناء عليها، كما يدل على عدم صحة ما قيل: ما ترك الأول للآخر شيئاً، بل يدل على صحة قول القائل: كم ترك الأول للآخر، وقوله: "مواهب الله متعددة" إشارة إلى دمه للتقليد والتعصب، ودعوته إلى التفكير المستقل والاجتهاد والإبداع، خدمة للعلم ول الأمة وللإنسانية جمعاء، ولا يمكن أن يسلك مثل هذا السلوك من كان مقلداً أو متعصباً، بل إن التقليد والتبعية والتعصب أعداء الإبداع والاجتهاد، وأعداء كل خير، وأعداء العلم قبل كل ذلك.

وقد دعا الشيخ الأنصاري طالب العلم والعالم إلى التميز والاستقلالية، باستنباط الأفكار الجديدة، والابتعاد عن التقليد والجمود، وأن لا يكتفوا بترديد أو شرح ما تركه

^١ - انظر تحقيق الرسالة في كتاب: التراث التربوي في خمس مخطوطات، هشام نشابة ص ٢٠٤-٢٠٥.

السابقون، كما دعا العالم إلى التأليف وكتابة الأبحاث العلمية لكي يثبت فيها ماتوصل إليه بجهده واجتهاده ودأبه في تحصيل العلم، كما فعل العلماء المجتهدين من قبله، الذين كتبوا كتابات وتركوا علما كثيرا انتفع به من جاء بعدهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض العلماء كان يحرص على أن يخصص لنفسه كشكولا ليسجل فيه الخواطر والأفكار التي تخطر له، ومن هؤلاء العلماء ابن الجوزي الذي جمع في ذلك مؤلفا أسماه: صيد الخاطر، وابن القيم صنف مؤلفا أسماه: الفوائد، وهناك غيرهم.

المبدأ التاسع أو الشرط التاسع: الاستمرار في التعلم مدى الحياة:

يشير الشيخ إلى ذلك بقوله: "أن لا يعتقد في علم أنه حصل منه مقدارا لا تمكن الزيادة عليه فذلك نقص وحرمان".

وهنا يتعين أن تكون همة طالب العلم عالية، فلا يكتفي بقليل العلم مع إمكان كثيره، ولا يقنع من إرث الأنبياء بيسيره، ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها¹. إن الاستمرار في طلب العلم، والتعلم مدى الحياة من الأمور التي دعت إليها التربية الإسلامية، حتى صاروا مبادئ من مبادئ التعلم والتعليم، وما ذلك إلا استجابة للحث القرآني والنبوي، واقتداءً بسلوك الصحابة والتابعين، ومن جاء بعدهم حيث كانوا بأقوالهم وأفعالهم يدعون غيرهم إلى طلب العلم في كل الأوقات، لا يصرّفهم عن العلم صارف عدا تلك الأوقات التي يصرفها المرء لضرورات الحياة فيما يتعلق به شخصياً وبمن هو مسؤول عنهم .

والاستمرار في التعلم يحتاج إلى صبر ومثابرة، فبالصبر تنال المعالي، وقد قيل: من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبداً. والمثابرة على طريق التعلم عنوان الهمة ودوام العلم، وقد سأل ابن مناور أبا عمرو بن العلاء: حتى متى يحسن بالمرء أن

¹ - الفكر التربوي عند العلومي، شفيق زيعور، ص ١٤٦ ط ١ دار قرآنون، بلد، ١٩٨٦م.

يَتَعَلَّم؟ فقال: مادامت تحسن به الحياة، وسئل سفيان بن عيينة: من أحوج الناس إلى طلب العلم؟ فقال: أعلمهم لأن الخطأ منه أقبح^١

"لقد جددت في عصرنا عوامل وأسباب كثيرة، جعلت الاستمرار في التعلم وتنقيف الذات بكل وسيلة أمراً لا خيار فيه لدى الأشخاص، وكذلك الأمم التي ترفض أن تعيش على هامش الحياة"^٢

والعلم لا يمكن أن يحصل عليه طالب العلم دون طلبه من أهله وسؤالهم عنه، وأن لا يستتفد من لا يعلمه ممن هو دونه منصباً، أو نسباً، أو سناً، بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت، قال سعيد بن جبیر: لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فإذا ترك العلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون^٣

والتعليم المستمر ليس خاصاً بعصر دون سواه، بل هو ضرورة في كل عصر، لكنه في عصرنا أكثر ضرورة وأهمية، بل أصبح ضرورة ملحة تتطلبها ظروف الحياة المعاصرة، ولمواجهة طوفان المعارف المتدفق كل لحظة، كما أن التفاهم بين الأجيال ومع رموز وأدوات العيش لن تتم إلا بواسطة تعليم يستمر طوال فترات الحياة^٤

والاستزادة من العلم ومتابعة مستجداته والاستمرار في تعلمه وأخذ من موارده من المسائل التي تدعو إليها التربية المعاصرة، وعليه فإن على طالب العلم أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يكون ذا همة عالية، وأن ينطلق في طلب العلم وينتفع بمعطياته، لينفع نفسه ومجتمعه وأمته، بل والإنسانية، مستشعراً أنه ليس لطلب العلم فترة زمنية محددة، بل يجعل عمره كله وحياته كلها تعلماً وتعلماً، وأن يظل ملازماً للتعلم من المهد إلى اللحد، كما يحث على ذلك ديننا الإسلامي الحنيف .

^١ - العلم بين يدي العالم والمتعلم، مرجع سابق ص ١٦.

^٢ - حول التربية والتعليم، عبد الكريم بكار، مرجع سابق ص ١٣٧.

^٣ - تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق ص ٢٨.

المبدأ العاشر، أو الشرط العاشر: معرفة حدود كل علم من العلوم.

يقول الشيخ في ذلك: "أن يعلم أن لكل علم حدا فلا يتجاوزه ولا ينقص منه".

وفي هذا الشرط أو المبدأ نجد أن الشيخ يحث طالب العلم على أن لا يخلط بين علم وآخر، بل عليه أن يكون عالماً بحدود كل علم وأن يعرفه معرفة جيدة، ولعله يريد بذلك التخصص العلمي الدقيق جداً الذي يستطيع الطالب المتعلم بعد طلبه لذلك النوع من العلم أو المجال أو التخصص أن يفتي في ذلك العلم الذي تخصص فيه، وفي العصور التي مضت وجد العالم المتخصص في أكثر من فن من فنون العلم، أما في العصر الحاضر فلم يعد ممكناً أن يكون العالم أو المتعلم موسوعي العلم، أي متمكناً متخصصاً في أكثر من تخصص علمي، نظراً لتوسع وتعدد وتنوع العلوم.

وعليه لا بد لطالب العلم من التمكن في فن محدد من فنون العلم، وعدم تجاوز ذلك الفن قبل إتقانه، بل عليه أن يصرف همه ووقته وجهده في طلب هذا العلم أو هذا التخصص حتى يجيده إجادة تامة، ثم إذا أراد أن يتوجه لعلم آخر فلا بأس في ذلك. والحديث هنا عن العلم لاعتناء الثقافة إذ المطلوب من العالم والمتعلم أن يكونا على إلمام بكثير من فنون العلم، بمعنى أن يكون متقفاً في العلوم المختلفة متخصصاً في فن واحد منها.

المبدأ الحادي عشر، أو ما أسماه الشيخ بالشرط هو حرص طالب العلم على أن لا يدخل علماً في آخر.

يقول الشيخ: "أن لا يدخل علماً في آخر لافي تعلم ولا في مناظرة، لأن ذلك يشوش الفكر".

وهنا توجيه آخر لطالب العلم بأن لا يدخل علماً في آخر، سواء أكان ذلك أثناء التعلم، أو عند المناظرة لأن تداخل العلوم بعضها مع بعض، أو حتى إدخال علمين مع

¹ - التعليم المستمر داونماهر ص ٢٣-٢٤ دون طبعة بجامعة الموصل: العراق، ١٩٨٨م.

بعضهما يشوش الفكر، وعلى طالب العلم أن ينأى بنفسه عن كل ما يشوش فكره، وأن يصرف همهته ووقته في طلب العلم وفي فن معين حتى يتمكن منه.

المبدأ الثاني عشر، أو الشرط الثاني عشر: مبدأ توقير المتعلم للعالم ومبدأ رفق العالم بالمتعلم.

يقول الشيخ في ذلك موجهها كلامه ونصحه للعالم والمتعلم: "أن يراعي كل من المتعلم والعالم الآخر خصوصاً الأول لأن معلمه كالأب بل أعظم، لأن أباه أخرجه إلى دار الفناء، ومعلمه دله على دار البقاء".

إن هذا المبدأ يعد من أروع مبادئ التربية الإسلامية التي ترفع شأن العلم والمعرفة، وتحترم تبعاً لذلك العلماء وترفعهم مكاناً علياً، وتحترم طلاب العلم، وتعرف لهم قدرهم، والمسیراث التربوي الإسلامي مليئٌ بمثل هذه الإشارات، واهتمام الإسلام بهذا الجانب كبير يدل على مكانة العلم فيه، وهذا الجانب الأخلاقي الراقى يعد ركيزة مهمة وأساسية في التربية الإسلامية، وكان ولا يزال للجانب الأخلاقي أثر كبير في تعلم العلم وتعليمه.

وإذا ما تم الوقوف على بعض جوانب الاحترام التي يجب على المتعلم أن يتحلّى بها لكي تصبح جزءاً مهماً من سلوكه يظهر أثرها في سمته وفي تعامله مع كل من حوله أدركنا أهمية هذه الآداب التي أضحت حقوقاً للعلماء على المتعلمين، وحقوقاً للمتعلمين على العلماء، إذ إن من أوجب الواجبات على المتعلم تجاه معلمه أن "ينظر إليه بعين الاحترام والاجلال والاکرام، وأن يعرف له حقه، ولا ينسى فضله، وأن يتواضع له ويذل، ويعلم أن ذلّه لشيخه عز، وخضوعه له فخر، وتعظيم حرمة مثوبة، والتشهير في خدمته شرف، وقد أخذ ابن عباس رضي الله عنهما مع جلال مرتبته بركاب زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا"^١

^١ - الفكر التربوي عند العلّمي شفيق زيعور، مرجع سابق ص ١٣٣.

ومما يجب على المتعلم تجاه معلمه أن يكون له كأرض دمنة نالت مطرا غزيرا، فيلقاه بالقبول من غير دفع، وليكن المتعلم محبا لمعلمه وأن لا يظن أن الصواب في خلافه، وليحترز المتعلم عن أن يتكل على ذهنه فيقعد ملوما محسورا^١

ومما ينبغي أن يحترس المتعلم عنده -وهو يعظم ويجل أستاذه ومعلمه- أن لا يدفعه معرفة الحق له أن يقبل الشبهة عنه، ولا يدعوه ترك الاعنات له على التقليد فيما أخذ عنه، فإنه ربما غالى بعض الأتباع في عالمهم حتى يروا أن قوله دليل وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة، وإن لم يحتج، فيفضي به الأمر إلى التسليم له فيما أخذ عنه، ويؤول به ذلك إلى التقصير فيما يصدر منه، لأنه يجتهد بحسب اجتهاد من يأخذ عنه^٢

ولا تقتصر حقوق المعلمين على ما ذكر، بل لهم حقوق كثيرة، وبالمقابل عليهم واجبات تجاه المتعلمين، إذ على المعلم أن يرغب المتعلم في العلم، ويذكره بفضائل العلماء، ويرغبه بتدريج على ما يعين على تحصيله من الاقتصاد على الميسور، وقدر الكفاية من الدنيا، والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها... وأن يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه من الشر^٣

ومن واجبات المعلمين التي هي حقوق للمتعلمين عليهم، بل تجاه العلم كله ألا يمنعوا طالبا، ولا ينفروا راغبا، ولا يؤيسوا متعلما، لما في ذلك من قطع الرغبة منهم، والزهد فيما لديهم، واستمرار ذلك مفضي إلى انقراض العلم بانقراضهم^٤

مما سبق يتضح أن مراعاة كل من العالم والمتعلم لبعضهما يعد من ضروريات التعلم والتعليم لاسيما من جانب المتعلمين، فهي في حقهم أوجب لأن المتعلم هو المعني بطلب العلم، وكم نحن في حاجة ماسة في نظامنا التربوي الحاضر إلى الاستفادة من هذه التوجيهات والمبادئ التربوية، بحاجة إلى تفعيل وممارسة هذه الآداب والأخلاق العلمية

^١- مفتاح السعادة ومصباح السيادة، مصدر سابق، ج ١ ص ٥٠.

^٢- لب الدنيا والدين للماوردي، مصدر سابق ص ١١٦.

^٣- الفكر التربوي عند العلوي، مرجع سابق ص ١١٢.

^٤- لب الدنيا والدين، مصدر سابق ص ١٣٩.

ففي حياتنا العلمية العملية في الوقت الراهن، لتكون سلوكاً كما كانت من قبل مع السلف الصالح علماء ومتعلمين.

المبحث الثاني: آفات الاشتغال بالعلم عند الشيخ زكريا الأنصاري

بعد أن بدأ الشيخ زكريا بذكر شروط تعلم العلوم لتكون واضحة جلية يضعها المتعلم نصب عينيه إن كان راغباً حقاً في التعلم والدخول في زمرة العلماء، نجد الشيخ بعد ذلك يذكر الآفات التي تصيب المشتغلين بالعلم إن أعطوا لها الفرصة، أما من تجنبها وأخذ أهبطه وحرصه الشديد منها سلم ولم يصب بدائها.

ولم يرتب الشيخ زكريا هذه الآفات في نقاط، ولا وضع لها عناوين، بل إن هذه العناوين والنقاط اجتهد من الباحث، وبالتالي فإنه يجعل كلام الشيخ بارزاً - كما فعل من قبل - ليسهل معرفته والوقوف عليه دون غيره، وفيما يلي آفات الاشتغال بالعلم:

الآفة الأولى: التسويف.

يقول الشيخ زكريا: "الوثوق بالزمن المستقبل، فيترك التعلم حالاً، إذ اليوم في التعليم والتعلم أفضل من غده، وأفضل منه أمسه، والإنسان كلما كبر كثرت عوائقه".

وقد أشار بعض العلماء إلى مثل هذه الآفات والشواغل عند حديثهم عن العلم فذكروها تحت مسمى موانع، ولا فرق بين التسميتين فكلاهما يعنيان شيئاً واحداً، والموانع والشواغل أو الآفات هي تلك التي تمنع طالب العلم، أو تقلل من همته في الطلب، أو تشغله عنه، ويرى الباحث أن الشيخ زكريا وفق في تسميته لها بالآفات، إذ بالنظر إلى ما تحدثه من أضرار تعد آفات جسيمة إذا ما قورنت بالآفات المادية التي تصيب جسم الإنسان، أو الآفات التي تصيب الأمم أو المجتمعات أو الحضارات، وهذه آفات معنوية تصيب المشتغلين بالعلم، وقد يكونوا سبباً رئيساً في الإصابة بها.

ولاشك أن أفضل العمر في حياة الإنسان مرحلة الشباب، لذلك كان لابد من استغلالها فيما يعود على الفرد نفسه، وعلى مجتمعه، وعلى أمته، وعلى الإنسانية كلها بالخير، ولما كان الاشتغال بالعلم يعد من أفضل الأعمال، جاء نصيح العلماء قديماً وحديثاً بضرورة

استغلال هذه الفترة الهامة من عمر الانسان في طلب العلم، بل استغلال العمر كله وتسخير فيه في هذا الجانب، في التعلم والتعليم والعمل، استجابة لما يمليه العلم على حامله من تعليم وعمل و سلوك حسن في المجتمع.

ففيما يتعلق باستغلال مرحلة الشباب في طلب العلم نجد الحث الشديد من علماء المسلمين على ذلك، فابن جماعة يوصي بالمبادرة إلى تحصيل العلم في أوقات الشباب، ويوجه نصيحته لطالب العلم بأن: "عليه أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل، ولا يغتر بخدع التسويف والتأجيل فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها"^١

كما أن على المشتغل بالعلم تعلمًا وتعليمًا أن يحرص على أوقاته، ولا يضيعها فيما لا فائدة فيه، وفي ذلك يقول ابن جماعة: "ولا يضيع شيئًا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل إلا بقدر الضرورة من أكل أو شرب أو نوم أو استراحة لملل، أو أداء حق زوجة، أو زائر، أو تحصيل قوت، وغيره مما يحتاج إليه... ويتعذر معه الاشتغال فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له، ومن استوى يومه فهو مغبون"^٢

وينصح العلمي طالب العلم بأن يغتنم التحصيل وقت الفراغ والنشاط وحال الشباب وقوة البدن ونباهة خاطر وقلة الشواغل قبل عوارض البطالة وارتفاع المنزلة، ويحذره من التسويف حين يقول: "واحذر التسويف في شبابك، والكسل، وسد على كبرك باب الرجاء والأمل، واغتتم مابقي من عمرك"^٣

الآفة الثانية: الغرور.

يحدد الشيخ ذلك الغرور بالوثوق بالذكاء فيقول: "الوثوق بالذكاء، فكثير من فاته العلم بركونه إلى ذكائه وتسويفه أيام الاشتغال"

^١- تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، مصدر سابق ص ٧٠.

^٢- المصدر السابق ص ٢٨.

^٣- الفكر التربوي عند العلمي، مصدر سابق ص ١٢٧-١٢٨.

ولاريب أن اتكال طالب العلم أوالعالم على ذكائه دون استغلال هذا الذكاء في طلب العلم وتحصيله، أو إنمائه، إنما يصير وبالا عليه، وبركونه هذا إنما يستخدم هذه النعمة في غير محلها، وهذا مما عمت به البلوى إذ ابتلي بها كثير ممن منحهم الله نعمة الذكاء فلم يقدروها حق قدرها، ومن هنا فإن على أولياء الأمور والمعلمين والمؤسسات التربوية مسؤولية كبيرة في تسخير الذكاء لدى المتعلمين بتوجيههم نحو العلوم التي تناسب ميولهم العلمية وقدراتهم العقلية ليتم الاستفادة منهم الاستفادة المثلى التي تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم وأمتهم بالخير والنفع.

وعلى الأذكاء الذين منحهم الله هذه النعمة أن يقدروها حق قدرها، وأن يتواضعوا ولا يغتروا بذكائهم أو يتطاولوا به على الآخرين، بل عليهم أن يشكروا الله تعالى عليه، وأن يسخروه في المفيد النافع من العلوم، والمفيد النافع من التطبيقات.

الآفة الثالثة: الاستعجال في قطف ثمار العلم قبل نضجها.

يريد الشيخ بهذه الآفة التنقل من علم قبل إتقانه إلى علم آخر، ومن شيخ إلى آخر قبل إتقان ما بدأ به عليه فإنه هدم لما قد بني".

إن هذا التوجيه التربوي نابع من تجربة عملية عاشها الشيخ زكريا معلما ومتعلما، وهو توجيه جدير بالنظر إليه والتوقف عنده والانطلاق للعمل به، فلا ينتقل المتعلم من دراسة علم بعينه إلى علم آخر حتى يتقن العلم الأول ويتمكن منه، ولا ينتقل من الدراسة لدى شيخ إلى شيخ آخر إلا بعد أن يتم ما كان قد بدأه مع الشيخ الأول، وإلا فإنه يهدم ما قد بناه، ويبدأ في التعلم من جديد مع حاجته الماسة للوقت والجهد في تعلم علوم أخرى.

والى مثل هذا التوجيه أشار بعض المفكرين التربويين المسلمين ومنهم الزرنوجي الذي ينصح المتعلم بالصبر في هذه الأمور فيقول: "واعلم بأن الصبر والثبات أصل كبير في جميع الأمور، ولكنه عزيز، فينبغي أن يثبت ويصبر على أستاذ وعلى كتاب حتى

لا يتركه أبتر، وعلى فن حتى لا يشتغل بفن آخر قبل أن يتقن الأول، وعلى بلد حتى لا ينتقل إلى بلد آخر من غير ضرورة"^١

الآفة الرابعة: الإفراط في الاقبال على الدنيا.

يريد الشيخ بهذه الآفة "طلب الدنيا والتردد إلى أهلها والوقوف على أبوابهم" يرى الباحث أن هذه الآفة من أكبر وأخطر الآفات التي تصيب العلماء ويقعون في حبالها وإن كانوا يشاركون غيرهم من أبناء الدنيا، لكنها في حق العلماء كبيرة وفي حق طلاب العلم كذلك، وقد ابتلي بها كثير منهم في زماننا خاصة نسأل الله المعافاة منها ومن غيرها من الآفات.

ومما ينبغي على العلماء وطلاب العلم أن ينزها العلم وأن لا يطلبوا من الدنيا إلا بقدر الكفاية، وبالطرق المشروعة التي ليس فيها إذلال للعلم وأهله. وقد حذر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتابعين وأتباع التابعين ومن جاء بعدهم من العلماء العاملين المخلصين حذروا من الوقوف على أبواب الحكام، قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: "إياكم ومواقف الفتن قيل: وما هي؟ قال: أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص. وقال بعض السلف: إنك لا تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه."^٢

وينصح ابن جماعة طالب العلم بأن يصون علمه ولا يذله حيث يقول: "على طالب العلم أن يصون العلم كما صانه علماء السلف، ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة، أو حاجة، أو إلى من يتعلمه منهم وإن عظم شأنه وكبر قدره"^٣

^١ - تعليم المتعلم طريق لتعلم برهان الدين الزرنوجي ص ٤٩ دون طبعة مكتبة القرآن: القاهرة دون تاريخ.

^٢ - مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي ص ٣٨ دون طبعة دار الامام: بدون بلد دون تاريخ.

^٣ - تنكرة السامع والمتكلم بمصدر سابق ص ١٦.

وهذا الأدب والتوقير للعلم من شأنه توقير العلماء، وهو أمر مطلوب من العلماء وطلاب العلم حيث يجب عليهما تنزيه العلم عن جعله سلماً يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال، أو سمعة أو شهرة، أو خدمة، أو يقدم على أقرانه، قال الشافعي رحمه الله: "وددت لو أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لا ينسب إلي حرف منه"^١

مما سبق يتضح حجم المسؤولية التي تقع على طالب العلم وعلى العالم من باب أولى تجاه العلم، فعليهما أن يكونا أهلاً لهذه المسؤولية وهذه الأمانة التي يحملانها، وأن ينزها العلم عن كل ما يسيئ إليه، أو يذله، أو ألا يفرطاً في حب الدنيا، وأن يتجنباً الوقوف على أبواب الحكام إلا إن دعت إلى ذلك حاجة أو ضرورة، أو اقتضت ذلك مصلحة دينية راجحة على مفسدة، وحسنت فيه نية صالحة فلا بأس كما أشار إلى ذلك ابن جماعة.^٢

ولا ينبغي أن يفهم العالم وطالب العلم من هذا دعوته إلى الانصراف عن الدنيا جملة، بل عليه أن يطلب الرزق بالكيفية المشروعة، وأن يتمتع بالطيبات في حدود معينة دون إسراف أو تقتير، وأن يطلب الدنيا طلباً لا يضر بالعلم ولا يضر بالآخرة.

الآفة الخامسة: تولي المناصب الإدارية.

يريد الشيخ بهذه الآفة "ولاية المناصب فإنها شاغلة مانعة"

وهذا الأمر يدركه من صرف جزءاً من عمره في طلب العلم ثم تولى منصباً مهماً كان حجمه، كيف أنه شغله عن العلم تعلماً وتعليماً وبحثاً، علماً أنه كلما كان المنصب كبيراً كانت الشواغل أكثر فتعظم المصيبة، من هنا فإن على العالم وطالب العلم أن يدرك أنه إن تولى منصباً ما فإنه يكون قد خير بين أمرين: بين العلم وبين المنصب، لذا وجب عليه أن يستغل أيام الشباب والفراغ في طلب العلم فإنها لاتدوم.

ولا يفهم من الكلام عن ولاية المناصب أنها دعوة إلى ترك المناصب والأعمال، والانصراف عنها بالكلية، فالتحذير إنما ينصرف إلى البحث عنها، والمهادنة والمجاملة في سبيلها، وترك العلم من أجلها، وإلا فقد تكون ولاية المناصب من

^١- المصدر السابق ص ١٩.

الضرورات التي تقتضيها المصلحة العامة، بل في أحيان كثيرة يتوجب على العالم وعلى طالب العلم البحث عن عمل ليستغنيا عن الحاجة إلى الناس، إذ قد يضطر طالب العلم المعدم إلى أن يجمع بين العمل وبين طلب العلم، وهذا حدث قديما ويحدث في كل عصر، بل هو في هذا العصر أكثر حدوثاً، وقد يكون الفقر دافعا إلى بذل مزيد من الجهد في الطلب والعمل وتكون النتيجة مباركة.

ولعل في ديمقراطية التعليم (تكافؤ الفرص) المدعاة في البلاد الإسلامية ومجانية التعليم في بعض البلدان ما يساعد طلاب العلم ويشجعهم على الإقبال نحو التعليم، أما في ظل الحضارة الإسلامية فقد كان هناك مبدأ سائداً هو مبدأ تكافؤ الفرص الذي لا يمكن مقارنته بما يسمى اليوم بديمقراطية التعليم حيث كانت الفرص متاحة لكل راغب في التعلم الأغنياء والفقراء كل حسب ما تؤهله قدراته وصبره على الاستمرار في التعلم.

الآفة السادسة: الفقر.

يريد الشيخ بهذه الآفة ضيق الحال فكما أن ولاية المناصب شاغلة مانعة فإن "ضيق الحال أيضا مانع".

ومن الآفات التي تصيب العلم في مقتل وتحول بين طالب العلم وبين طلب العلم، وبين العالم وبين الاستمرار في التعليم الفقر الشديد، من هنا نصح كثير من العلماء طالب العلم أن يكون مكفياً، عليه أن يؤمن بمورد رزقه وما يكفيه مذلة السؤال، أو يشغله عن الطلب.

المبحث الثالث: حصر أنواع العلوم من وجهة نظر الشيخ زكريا الأنصاري.

بعد أن ذكر الشيخ الشروط الواجب توافرها في الراغب في التعلم وضرورة الالتزام الصارم بتلك الشروط ليصل إلى تحقيق هدفه، وذكر بعد ذلك الآفات التي تصيب المشتغلين بالعلم وتكون سبباً في انصرافهم عن العلم، وفي هذا المبحث نجده يذكر أنواع

¹ - المصدر نفسه ص ١٧.

العلوم، وهو لاشك ينطلق في حديثه عن العلوم التي كانت تدرس في عصره، إضافة إلى فهمه الواضح للعلوم التي يأمر الإسلام بتعلمها، وهو بذلك يعطي صورة واضحة عن العلوم التي كانت تدرس في عصره

يقسم الشيخ زكريا العلوم إلى أربعة أنواع على النحو التالي:

- ١- علوم شرعية وهي ثلاثة: الفقه والتفسير والحديث.
 - ٢- علوم أدبية: وهي أربعة عشر علماً: علم اللغة، وعلم الاشتقاق، وعلم التصريف، وعلم النحو، وعلم المعاني، وعلم البيان، وعلم البديع، وعلم العروض، وعلم القوافي، وعلم قرض الشعر، وعلم إنشاء النثر، وعلم الكتابة، علم القراءات، وعلم المحاضرات، ومنه التواريخ.
 - ٣- علوم رياضية: وهي عشرة: علم التصوف، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، والعلم التعليمي، وعلم الحساب، وعلم الجبر، وعلم الموسيقى، وعلم السياسة، وعلم الأخلاق، وعلم تدبير المنزل.
 - ٤- علوم عقلية: وهي ما عدا ذلك كالمنطق، والجدل، وأصول الفقه، وأصول الدين، والعلم الإلهي، والعلم الطبيعي والطب، وعلم الميقات، وعلم النواميس، والفلسفة، والكيمياء، ويتفرع عن ذلك علوم آخر كعلم الارتماطقي، وعلم المساحة، وعلم البيطرة، وعلم الفلاحة، وعلم السحر والطلسمات، وعلم الفراسة، وعلم تعبير الرؤيا، وعلم أحكام النجوم^١.
- ثم شرع الشيخ زكريا بعد ذلك في بيان حدودها وفوائدها، وما يهمنها هو الوقوف على أنواع العلوم التي ذكرها الشيخ، ومعرفة العلوم التي دعا الإسلام إلى تعلمها.
- ومن الجدير ذكره أن الشيخ الأنصاري لم يكن وحده من أشار إلى تلك العلوم، إذ أشار إليها ابن النديم في الفهرست، والغزالي في الإحياء، وابن خلدون في المقدمة، وحاجي خليفة في كشف الظنون، والفارابي في إحصاء العلوم، وغيرهم، وقد ذكر ذلك أحد الباحثين موضحاً أن ما تميز به الشيخ الأنصاري عن غيره هو أنه قام بتصنيف هذه العلوم وبين

^١ - انظر: التراث التربوي في خمس مخطوطات، هشام نشابة، مرجع سابق، ص ٢٠٦-٢١٣.

حدود كل علم، وما يتفرع منه، موضحاً أن هذه العلوم هي التي كانت تدرس في المدارس في عصر الشيخ زكريا، وللطالب أن يختار منها ما يرغب، إذ لا يمكنه أن يحيط بها كلها.^١

يتضح مما سبق أن أنواعاً من العلوم كانت تدرس في المدارس في عصر الشيخ زكريا الأنصاري، وأن مسألة اختيار نوع العلم كانت تترك للطالب ليختار العلم الذي يرغب فيه ويميل إليه، مما يعني أن إقرار مبدأ التخصص ومبدأ الميل والرغبة لدى المتعلم كان معمولاً به حينها الأمر الذي يدعو إلى الاستفادة منه في هذا العصر في إقرار مثل هذه المبادئ التربوية الهامة، كضرورة من ضرورات هذا العصر أكثر من أي وقت مضى.

أما الحاجة إلى التخصص فإنها تأتي من كون هذا العصر لم يعد يسمح بظهور الرجال الموسوعيين أمثال الشيخ الأنصاري، ذلك أن اتساع المعرفة ونموها المطرد جعل من المتعذر بل من المستحيل على شخص - مهما كانت إمكانياته، ومهما كان ذكاه ونبوغه - الإحاطة بكل تلك المعارف، بل أصبح العلم الواحد مفرعاً عدة فروع كل فرع منها بات تخصصاً مستقلاً بذاته، بل الفرع الواحد أصبح متفرعاً إلى تخصصات متعددة، وما يقال عن الطب والفيزياء والكيمياء والهندسة وغيرها يقال في العلوم الشرعية، فقد يتعذر أو يصبح من العسير ظهور من يجمع هذه العلوم كلها، لذلك كان لابد من التخصص في بعضها.^٢

أما عن العلم الذي يدعو إليه الإسلام ونوعه فبالنظر في القرآن الكريم نجد أنه يدعو إلى العلم بأوسع معانيه، وأبعد حدوده.^٣

والعلم الذي يدعو إليه الإسلام هو العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة ولا يقتصر على الشريعة، أو العلم الديني.^٤

^١ - التربية والتعليم في الإسلام، سعيد الديوه جي، ص ٨٦، دون طبعة، الموصل: العراق بدون تاريخ.

^٢ - قضايا إسلامية على بساط البحث، يوسف القرضاوي، ص ٧٥ ط ١ دار الضياء: عمان، ١٩٨٧م.

^٣ - التربية في كتاب الله، محمود فايد، ص ٢٤ ط ٥ دار الاعتصام: دون بلد، ١٩٧٨م.

^٤ - منهج القرآن في التربية محمد شديد، ص ١٣٥ دون طبعة مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٩٧٩م.

إن الإسلام يأمر المسلم أن يغزو الكون ليصل إلى أعماق الأرض والبحار، ويرتفع في الأفق إلى أبعد ما يصل إليه العلم بوسائله وآلاته، ويغزو الفضاء فيما بين السماء والأرض، ولا يعني ذلك أن كل العلوم على درجة واحدة من الأهمية في الإسلام، وإنما هناك علوم أكثر أهمية من علوم، فبدون معرفة العقيدة الإسلامية، ومعرفة الحلال والحرام على سبيل المثال لا يكون المسلم مسلماً، ولكنه يستطيع أن يكون مسلماً لو عرف الطب وجهل الهندسة على سبيل المثال.¹

نخلص من ذلك أن الإسلام لا يتعارض مع العلم، ولا يدعو إلى علم بعينه ويقف عنده، بل يدعو إلى مختلف العلوم، ومما يدل على ذلك أن كلمة عالم كانت تطلق سابقاً على كل من حفظ شيئاً من حقائق الطبيعة، أو قضايا المنطق والجدل، أو التاريخ، أو أصول الدين، أو التشريع أو اللغة.. الخ، أما العلماء فنجد أنهم قد حددوا معنى المعرفة وقسموها بحسب أسبابها إلى معرفة عملية تقوم على التجربة والاختبار، ومعرفة دينية تعتمد على الوحي والفطرة الإنسانية الخيرة، ومعرفة نظرية وهي نتيجة الأقيسة المنطقية، أما لفظ العالم فقد خصوه بذی المعرفة العلمية التي لا تقبل الشك والمناقشة، وليس المراد "بالذين يعلمون" العلماء في اصطلاح المتقدمين، ولا العلماء في اصطلاح المتأخرين، وإنما المراد بهم العلماء الذين عنيتهم الآية "١٩" من سورة فاطر {وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور} فالذين يعلمون هم الأحياء ذوو النور والبصيرة يترتب على معارفهم تقدم الحياة والهداية إلى الخير سواء أكانت معرفتهم علمية أم نظرية أم دينية، أم لغوية، فالعبرة بآثار المعرفة وفوائدها لا بالمعرفة نفسها، ولو أن شخصاً جمع علوم الأولين والآخرين ثم لم يكن له أثر يذكر في هذه الحياة وتطورها فهو من أهل القبور، بل الأموات خير منه، فيدخل في "الذين يعلمون" كل من تعلم وعمل لخدمة الإنسان، فتشمل من درس الطب لدفع الأدوية، والهندسة لإنشاء المعامل والمصانع، والتشريع ليتمتع كل إنسان بحريته وحقوقه، والتاريخ لمعرفة مراحل الحياة

¹ - الفكر التربوي عند الغزالي كما يبدو من رسالته "أيها الولد" عبد الغني عود، ص ١١١ ط ١ دار الفكر العربي: القاهرة، ١٩٨٢م.

واجتناب الأخطاء، والأدب ليعبر عن الحياة الانسانية وما فيها من قوى التطور والتحول، فكل واحد من هؤلاء خير عند الله وأفضل من الذين لا يعلمون ولا يعملون ولا يجاهدون.^١

وللدلالة على أن الإسلام يدعو إلى العلم بمعناه الشامل ولا يحصره في نوع معين هو نبوغ علماء الإسلام في ظل الحضارة الإسلامية في علوم مختلفة، مما يدل على أن المسلمين قد أقبلوا على مختلف العلوم والفنون يتعلمونها ويتفوقون فيها، فتنوعت معارفهم حيث لم يتركوا فرعاً من العلم إلا درسوه وحققوا لأنفسهم فيه المجد والرفعة.^٢ وهذا الأمر الذي يدفعنا إلى الانطلاق نحو العلوم المختلفة وتعلمها وأخذها من أي وعاء وفي أي مكان توجد فيه لنصل إلى الغاية المرجوة وبما يتفق مع مقاصد الإسلام ولا يتعارض مع ثوابته .

^١- الإسلام مع الحياة، دراسة في ضوء العقل والتطور، محمد جواد مغنية، ص ١١٦ ط ٣ دار العلم للملايين: بيروت، ١٩٧٩م.

^٢- المسلمون والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ٤٥ ط ٣ دار الكتاب الغربي: بيروت دون تاريخ.

النتائج والتوصيات

أولاً النتائج:

تعد دراسة أعلام الفكر التربوي الإسلامي من الدراسات التاريخية التي تتم في تاريخ التربية والتي يستفاد منها في التربية المعاصرة، ومن خلال دراسة رسالة الشيخ زكريا الأنصاري خلص الباحث إلى جملة من النتائج:

١- أهمية الجانب الأخلاقي في عملية التعلم والتعليم، وضرورة مراعاة هذه

الآداب والمعايير من قبل العلماء والمتعلمين بالتوازي مع الجانب

المعرفي في المؤسسات التربوية المعاصرة.

٢- اهتمام العلماء بالجوانب الأخلاقية يؤكد على ضرورة مراعاة ذلك عند بناء

المناهج، أو إعداد المعلمين، أو تدريبهم، أو بناء جانب من جوانب

العملية التربوية في المجتمع.

٣- اهتمام العلماء بالجانب التعبدى لدى العالم والمتعلم وهو أمر مهم في التربية

الإسلامية لابد من الاهتمام به، عند قبول المتعلمين للالتحاق بأي

مؤسسة تربوية نظامية وغير نظامية، ذلك أن هذا الجانب يؤثر في

تنشيت السلوك التعبدى والأخلاقي في شخصية المعلم والمتعلم.

٤- تأكيد العلماء على مراعاة الميول العلمية لدى المتعلمين، وكذا مراعاة الفروق

الفردية حتى يتمكن كل متعلم من نيل العلم الذي يناسب عقله وعمره

وميله ورغبته.

٥- حث العلماء للمتعلمين على ضرورة الاستمرار في التعلم لأهمية ذلك وفائدته

في تنمية العلم، وهذا التوجيه موجه للعلماء من باب أولى لأنهم أكثر

من غيرهم في حاجة إلى الاستمرار في متابعة كل جديد خاصة في

مجال التخصص.

٦- نصح الشيخ زكريا العلماء والمتعلمين بعدم الغرور والركون إلى الذكاء

والاعتماد عليه وحده دون بذل الجهد المطلوب، أو التسويف في التعلم

ركونا إلى الذكاء الأمر الذي يضيع على من كان هذا سلوكه وقته وذكاءه فيخرج من كل ذلك صفرا.

- ٧-حث الشيخ على ضرورة إتقان العلم وعدم الانتقال إلى علم آخر قبل إتقان الأول، وهو يشير بذلك إلى أهمية التخصص الدقيق والتمكن في هذا التخصص، ويمكن بعد ذلك أن يتقف نفسه في علوم أخرى، إذ التمكن في تخصصه فرض، في حين قراءاته في تخصص آخر نافلة.
- ٨-دعا لشيخ زكريا إلى تعلم أنواع العلوم النافعة، التي تناسب الميول والرغبات، وتتناسب مع القدرات العقلية.

ثانياً: التوصيات.

- ١- يمكن للمؤسسات التربوية والعلماء والمتعلمين الاستفادة من مثل هذه الرؤى والأفكار التربوية التي وردت في رسالة الشيخ زكريا الأنصاري كل فيما يخصه، بهدف تحسين العملية التربوية في جانبها الأخلاقي خاصة.
- ٢- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بدراسة الميراث التربوي الذي خلفه العلماء المسلمين، وتقديره وتهنيئته بين يدي المتخصصين والمهتمين والمتعلمين خاصة طلاب كليات التربية ومعاهد إعداد وتأهيل المعلمين.
- ٣- يوصي الباحث القائمين على العملية التربوية بضرورة مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين، وإتاحة الفرصة لكل راغب في التعلم ليتعلم حسب ما تؤهله قدراته وكفاءاته.
- ٤- يوصي الباحث بضرورة مراعاة الميول العلمية والرغبات التي تتفق مع هذه الميول عند قبول الطلبة في الجامعات أو المعاهد أو المؤسسات التعليمية.
- ٥- يوصي الباحث بضرورة الاهتمام بنشر وتعليم العلوم المختلفة الدينية والدنيوية مع مراعاة أن تكون الروح الإسلامية مبنوثة في كل العلوم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ١- الأنصاري، زكريا بن محمد، تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، مراجعة وتحقيق: محي هلال السرحان، دون طبعة، دون ناشر، دون بلد نشر، دون تاريخ.
- ٢- ابن جماعة، بدر الدين، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دون طبعة، بيروت: دار الكتب العلمية، دون تاريخ.
- ٣- الحنبلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٨، بيروت: المكتب التجاري، دون تاريخ.
- ٤- الزرنوجي، برهان الدين، تعليم المتعلم طريق التعلم، مراجعة وتحقيق: مصطفى عاشور، دون طبعة: القاهرة، مكتبة القرآن، دون تاريخ.
- ٥- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٣، دون طبعة: بيروت، دار مكتبة الحياة، دون تاريخ.
- ٦- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ١، ط ١، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٤٨.
- ٧- طاش كبرى زاده، أحمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ج ١، مراجعة وتحقيق: كامل بكري عبد الوهاب أبو النور، دون طبعة، القاهرة: دار الكتب الحديثة، دون تاريخ.
- ٨- ابن عبد البر، أبو عمرو يوسف، جامع بيان العلم وفضله زما ينبغي في روايته وحمله، تحقيق: عبد الكريم الخطيب، مراجعة وتصحيح: عبد الرحمن حسن محمود، دون طبعة، القاهرة: دار الكتب الحديثة، دون تاريخ.
- ٩- الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج ١، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، ط ٢، بيروت: دار الافاق الجديدة، ١٩٧٩.

- ١٠- ابن القاسم بن محمد، الحسين، آداب المعلمين والمتعلمين، ط١، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، بيروت، دار المناهل، ١٩٨٥.
- ١١- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، أنب الدنيا والدين، تقديم وتحقيق: مصطفى السقا، مراجعة وتعليق: محمد شريف سكر، ط١، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٨.
- ١٢- المقدسي، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، دون طبعة، دون بلد نشر، دار الامام، ١٩٨٨.

ثانياً: المراجع

- ١٣- الأبراشي، محمد عطية، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٢، القاهرة: عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ.
- ١٤- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج٥، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩.
- ١٥- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ج٢، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦.
- ١٦- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن الترمذي، ج٢، ط١، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨.
- ١٧- الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح سنن النسائي، ج٢، ط١، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٨.
- ١٨- بانبيلة، حسين عبدالله، ابن خلدون وتراثه التربوي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٤.
- ١٩- بكار، عبد الكريم، حول التربية والتعليم، ط١، دمشق: دار القلم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٢٠- الديوه جي، سعيد، التربية والتعليم في الإسلام، دون طبعة، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- ٢١- زيعور شفيق، الفكر التربوي عند العلموي، ط١، دون بلد نشر، دار إقرأ، ١٩٨٦.
- ٢٢- شديد، محمد، منهج القرآن في التربية، دون طبعة، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.
- ٢٣- شمس الدين، محمد حسين، ابن تفردي مؤرخ العصر المملوكي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢.

- ٢٤- طلس، محمد أسعد، تاريخ العرب، ج٧، ط٢، دون بلد نشر، دار الأندلس، ١٩٧٩.
- ٢٥- ضومط، انطوان خليل، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، ط١، بيروت: دار الحداثة، ١٩٨٠.
- ٢٦- عبد الرحمن، عبد الرؤوف يوسف عبد القادر، أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.
- ٢٧- عبد العال، حسن إبراهيم، فن التعلم عند بدر الدين بن جماعة كما يبدو في كتابه تذكرة السامع والمتكلم في أنب العالم والمتعلم، دون طبعة، الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٩٨٥.
- ٢٨- عبود، عبد الغني، الفكر التربوي عند الغزالي كما يبدو من رسالته 'أيها الولد'، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢.
- ٢٩- عبيد، أحمد، الإعلام والاهتمام بجمع فتاوى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، تصحيح ومراجعة: عبد العزيز السيروان، ط٢، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٤.
- ٣٠- العدوي، إبراهيم أحمد، التعليم الإسلامي في الماضي وميراثه في الحاضر، من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الأول للتعليم الإسلامي، دون طبعة، مكة المكرمة، ١٩٧٧.
- ٣١- عودة، محمد عبد الله، وآخرون، مختصر التاريخ الإسلامي، دون طبعة، دون بلد نشر، دون ناشر، ١٩٨٩.
- ٣٢- فايد، محمود عبد الوهاب، التربية في كتاب الله، ط٥، دون بلد نشر، دار الاعتصام، ١٩٧٨.
- ٣٣- القرضاوي، يوسف، قضايا معاصرة على بساط البحث، ط١، عمان: دار الضياء، ١٩٨٧.
- ٣٤- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، ج١، اعتنى به وجمعه وأخرجه مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٣٥- ماجد، عبد المنعم، نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم، دراسة شاملة للنظم السياسية، دون طبعة، القاهرة: مكتبة الانجلو، ١٩٦٤.
- ٣٦- محمد، داود ماهر، التعليم المستمر، دون طبعة، دون بلد، جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- ٣٧- مغنية، محمد جواد، الإسلام مع الحياة، دراسة في ضوء العقل والتطور، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩.

- ٣٨- منقريوس، رزق الله، تاريخ دول الإسلام، مجلد ٣، دون طبعة، القاهرة: مطبعة الهلال والدار العالمية للطباعة والنشر، ١٩٠٨.
- ٣٩- مهلهل، جاسم محمد، العلم بين يدي العالم والمتعلم، دون طبعة، دون بلد، مكتبة دار الدعوة، دون تاريخ.
- ٤٠- النباهين، علي سالم، نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر، ط ١، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٢.
- ٤١- نشابة، هشام، التراث التربوي في خمس مخطوطات، ط ١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٨.
- ٤٢- نوفل، عبد الرزاق، المسلمون والعلم الحديث، ط ٣، بيروت: دار الكتاب العربي، دون تاريخ.
- ٤٣- يالجن، مقداد، توجيه المتعلم في ضوء التفكير التربوي والإسلامي، ط ١، الرياض: دار المريخ، ١٩٨٢.
- ٤٤- من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الثاني، الرياض: مكتب التربية لدول الخليج.
- ٤٥- رسالة الخليج العربي، العدد ٤، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨١.